ميشال زيفاكو

الوصيّة السرّيّة

المكتبة الثقافية
بيروت - لبنان
ص. ب. ٨٧٣٢

- ١ -

الولاء الكاذب

اصاب خبر موت البنفسجية الدوق دي كيز في الصميم .. وهو الخبر الذي القته اليه فوستا وهي تودعه ، فمضى ليله في هم مقيم وحزن عظيم، وبكاء متواصل .

فلما اصبح الصباح تمالك نفسه وفكر في المستقبل الباسم امامه ، والعرش الذي سوف يجلس عليه ، والفتوح التي وعدته فوستا بها، والملك الذي يجب ان يموت ليحل محله ، والرحلة الى (بلوا) حيث مقر الملك ، فأمر خادمه بفتح باب القاعة الكبرى ليستقبل النبلاء الذين كانوا قد تجمعوا في الاروقة والغرف المختلفة بانتظاره .

ولما مثل الجميع امامه قال لهم :

ـ لقد امر الملك ايها السادة باجتماع المجالس النيابية فارسلت الاقاليم نوابها الى (بلوا) وعلينا ان نسافر الى هذا المكان تلبية لرغبات الملك ، ولكي يشارك ممثلو باريس نواب الولايات المختلفة في شؤون الحكم والادارة .

ولما انصرف النبلاء ليستعدوا لهذه الرحلة ، كتب الدوق دي كيز الرسالة التالية الى فوستا :

« سيدتي

« لقد اقنعني حديثك وارضاني ، ولم اعد اطيق الصبر لحظة على تنفيذ المشروع الخطير الذي وضعت خطته •

« ولهذا قررت السفر الى (بلوا) حالا ، وبعد الانتهاء من كتابة هذه الرسالة •

« وسأتشرف بانتظارك في بلوا لتنفيذ الامرين الخطيرين اللذين اتفقنا عليهما •

« اولهما موت من تعرفين ، وثانيهما اتحاد قوتينا » •

هنري دوق دي كيز الآن

وادار وجهه يبحث عن رسول يكلفه بحمل الرسالة الى صاحبتها ، فشاهد (مورفر) فكلفه بها •• وحذره من اضاعتها لخطورتها •

وغادر (مورفر) قصر الدوق وهو يقول في نفسه : ليس هذا الرجل ممن يوثقون به ، فهو ابدا يتبدل ويتقلب ، ولو كنت واثقا ان بارداليان لقي حتفه ، لابتعدت عنه ، وسرت في سبيل آخر ، ومضيت اكيد له وانتقم منه •

ولكني لا استطيع شيئا ضده في الوقت الحاضر ، وهو القوي العزيز •

ولقد توجه مورفر الى منزله الخاص قبل ان يذهب الى قصر فوستا ، وبعد ان احكم اقفال الباب وارخى الستائر ، اخذ شفرة رقيقة ومضى يعالج بها الرسالة حتى فض غلافها وقرأ محتوياتها ، فاهتاج واهتم لما فيها ، واخذ ورقة وراح يقلد خط الدوق حتى استقام له ذلك بعد جهد ، فوضع

الرسالة المقلدة في الغلاف ، واعاد الختم الى ما كان عليه ثم وضع الرسالة الاصلية في جيب من جيوبه السرية ، وهو يقول في نفسه :

ـ هذه لملك فرنسا •

وبعد ان سلم الرسالة الى فوستا ، عاد الى قصر الدوق فوجده قد غادره الى (بلوا) فمضى خببا على جواده حتى لحقه ، وقال له :

ـ لقد قضي الامر يا مولاي •

★★★

وقف بارداليان في ذلك الرواق المظلم من قصر فوستا دهشا حائرا لما سمعه من الحديث الذي دار بين الدوق وهذه المرأة الجهنمية ، وراح يقول لنفسه :

ـ اليس من المؤلم ان تكون هذه المرأة الجميلة الذكية من اهل الخيانة والغدر ، فاني لم اكد انقذها من الموت حتى طلبت من الدوق قتلي •

ولما عادت فوستا الى غرفتها بعد ان ودعت الدوق ، فكر بارداليان في الدخول عليها وتأنيبها ، ولكنه ما لبث ان تمالك نفسه ، حين شاهدها تجلس على كرسي وتبكي •

ثم ما لبثت ان تمالكت نفسها •• وقرعت جرسا •• فأقبل خادم ، وقف بعيدا حين رآها تكتب •

وكان الكتاب طويلا استغرق ساعة من الزمن ، فلما انتهت منه وختمته سألت الخادم عن الكونت ، فاجابها انه في موقفه قرب سانت دنيس •

فقالت له :

ـ سر بهذه الرسالة اليه ، وقل له ليسافر في الساعة الثامنة من الصباح الى دنكرك ليدفع هذه الرسالة الى الكسندر فرنيز .. وقل له اذا لم يجدني في باريس عند عودته ، فليلحق بي في (بلوا) .

ولما خرج الخادم لينفذ امرها ، قال بارداليان في نفسه ، لا شك انها تأمر الكسندر فرنيز في هذه الرسالة للتأهب لدخول فرنسا كي يغدو الدوق دي كيز امبراطورا على اوروبا كلها .. كما وعدته ان يكون .

غادرت فوستا القاعة على الاثر ، فاقبل خادم واطفأ الانوار ، وبعد قليل لم يعد بارداليان يسمع صوتا فايقن ان الجميع قد ذهبوا لمضاجعهم .

جرّد خنجره ومضى يبحث عن الباب الخارجي ، فوصل الى ردهة كان فيها نور ضعيف ، ولم يكن فيها احد من الحراس ، لان جميع حراس فوستا انضموا الى الكردينال روفيني وتركوا فوستا لمصيرها .. فلم يجد والحالة هذه صعوبة في فتح الباب ، واقفاله بعد خروجه ، وكانت ساعة كنيسة نوتردام تدق مؤذنة بانتصاف الليل .

توجه بارداليان الى فندق دفنير على التو ، فلما بلغه وطرق الباب ، وفتحت له الخادمة ، طلب منها ان تعد له طعاما ، فقد كان شديد الجوع .

فقالت تعتذر :

ـ اني اكاد اموت من النعاس يا سيدي الشفاليه .

ـ اذن اذهبي الى غرفتك ، ولا تنسي ايقاظي في الساعة السادسة صباحا .

فلما تركته وشأنه ذهب الى المطبخ يعد لنفسه طعاما ، فارتبك واخطأ ، واخذ يضحك من نفسه ، واحس بحركة خلفه فالتفت فشاهد هيكيت صاحبة الفندق تراقبه وتضحك ، ثم تقدمت منه ، وابعدته عن النار واخذت تعد له طعامه ، وهي تقول :

ـ سوف اطرد الخادمة غدا .

ـ لا تفعلي فانا التي سألتها ان تعود لفراشها •

واقبلت هيكيت تخدمه ، وتهيء له طعامه ، وهي راضية شاكرة مسرورة فرحة ان تمكنت من خدمته ، والاشراف على راحته ، وكانت كما يعلم القاريء تحب بارداليان حبا جما ، وتحترم حبه لزوجته الميتة ، فتحتفظ بحبها في قلبها ، وكان اقصى امانيها ان يظل بقربها ، ولا يترك فندقها لتقر عيناه بقربه •

وبعد ان تناول بارداليان طعامه ، اوى الى فراشه ثم ايقظته الخادمة في السادسة صباحا فتوجه الى كنيسة سانت دنيس التي سمع فوستا تقول ان الكونت احد رجالها يقيم في منزل بقربها •

ولما وصل الى المكان ترجل عن جواده ، واختبأ خلف شجرة في الطريق ، فاقبل بعد نصف ساعة خادم فوستا قادما من باريس ، فعرفه بانه الرجل الذي يحمل رسالة الكسندر فرنيز الى الكونت المجهول •

ودخل خادم فوستا الى المنزل ، ثم غادره عائدا الى باريس بعد ان سلم الكونت الرسالة •

وظل بارداليان منتظرا في مكانه ، حتى خرج الكونت فركب جوادا وسار في طريق دامارتين •• فمضى بارداليان في اثره ، حتى وصل الى قرية فنام في فندقها ، وفعل بارداليان مثله ، ولكنه لما افاق في صباح اليوم التالي وعرف من صاحب الفندق ان الكونت قد سافر ليلا ، ادرك انه قد اكتشف سره ، وانه يتأثره ، فمضى يلحقه حتى لحق به ، ودعاه لتسليم الرسالة التي معه فرفض الكونت ، فبارزه بارداليان وجرحه ، ثم اخذ الرسالة منه ، ومزقها امام عينيه ، وهو يقول :

ـ لقد خطر ببالك اني سوف استعمل هذه الرسالة ضد فوستا ، واسلمها للملك لينتقم منها ، والواقع كما ترى غير ذلك ، فليس يهمني

القضاء على فوستا ، رغم محاولاتهـا العديدة لقتلي ، وانما اريـد فقط افساد كل مشاريعها ، وشل حركاتها •• والقضاء على مكايدها •

وبعد ان ضمد جراح الكونت سلمه الى عجوز عثر عليها للعنايـة به في قريتها القريبة بعد ان حمله الى منزلها ، ودعا طبيبا عجوزا لمعالجتـه ، وبعـد ان فحصه الطبيب او المتطبب على الاصح ، قال انـه سيشفى •• ولكنه يحتاج الى شهرين للراحة •

وعاد بارداليان الى باريس بعد ذلك للبحث عن مورفر ، ولقاء الدوق دي كيز •

ولكن الدوق كان في الطريق الى (بلوا) كما قدمنا ، بصحبـة مائة وخمسون نبيلا كانوا جميعا من انصاره ، ويضحون انفسهم في سبيله •

وكان يعلم الى هذا ان جميع النواب الذين يحضرون الجلسة الكبرى في (بلوا) •• لا بد ان يكونوا باكثريتهم من اتباعه وانصاره ايضا •

ولهذا فسيكون هو رئيس المجلس الحقيقي لا الملك ، الذي لا يناصره غير قوة من الجند بقيادة كيرلون •• وقد علم مـن مورفر ان الجنـود يشكون من تأخر مرتباتهم •• وانهم يتأهبون للثورة والعصيان •

ولما وصل الدوق وانصاره الى مكان قريب من (بلوا) شاهد جمعـا من الفرسان يتقدم نحوه ، ولما مثلوا امامه اخبروه انهم وفود نواب الشعب الذين ارسلوهم لتحيته واستقباله •

فسر بذلك سرورا عظيما ، واطمأن الى فوزه القريب بالعرش •

★★★

كان ملك فرنسا في هذه الاثناء يذرع القاعة الكبرى في القصر الـذي يقيم فيه جيئة وذهوبا بانتظار وصول الدوق دي كيز ورجاله •

وقد غصت الشرفة ودراجات السلم الكبير بالنبلاء والجنود ، وأنتشر الحراس هنا وهناك وكان في القاعة ما يقرب من عشرين نبيلا ، ينظرون الى الملك وامه دون ان يتكلموا او يتحركوا ، فيما كانت الملكة كاترين جالسة في زاوية من زوايا القاعة تتحدث مع احد الكهنة .

وسمع الجميع ضجة في الخارج .

وتجاهل الملك سبب الضجة .

وقال للكونت دي لوان :

ـ اذهب وانظر ماذا يجري خارج القصر يا كونت .

واقبل (كالابر) في هذه الاثناء وكان قد اطل من النافذة ، عند سماعه الضجة ، يقول للملك :

ـ لقد وصل الدوق دي كيز يا مولاي .

وقال الملك بلهجة ادهشت الجميع :

ـ اي شيء له معنا ، وماذا جاء يعمل هنا ؟

وكان الدوق قد اخذ يصعد السلم في هذه الاثناء ، وخلفه حاشيتـه ورجاله وحراسه ، ففطن (كريلون) قائـد حرس الملك الى معنى هـذه الظاهرة وما فيها من تحد للملك ، فحال بين الدوق ورجاله ، وقال للدوق واخويـه :

ـ لقد امرني الملك ان اخبركم بانه يتفضل بمقابلتكم ..

ثم التفت الى رجال الدوق وقال لهم :

ـ واما انتم ايها السادة فتفضلوا بالانتظار .

وحاول رجال الدوق الاعتراض ، فتدخل الدوق ، ودعاهم الى انتظاره في مكـانهم .

ثم قال لكريلون :

ــ تفضل يا سيدي بادخالنا الى جلالة الملك •

وقف رجال الــدوق على السلم الذي ازدحم بهم وبرجــال الملك ، واختلط الفريقان وجعل كل منهما ينظر الى رفيقه ، نظرة العداء والتحدي•

واما كريلون ، فقد ادخل الدوق واخويه الى قاعة الملك واقفل الباب خلفهم •• ووقف على الباب ينتظر ما يكون •

وكان الملك جالسا على كرسيه ، وقبعته على رأسه ، وقد اسند كوعه الــى الكرسي ، وتقدم الدوق وشقيقاه نحــو عرش الملــك حيث حنوا رؤوسهم ووقفوا ينتظرون ما يقول •

ولم يقــل الملك شيئــا في اول الامر ، وساد صمت هائل في القاعــة الكبــيرة •

ثم قال جلالته :

ــ اهذا انت ايها الدوق •• ما الذي تريد ان تقوله لنا ؟

وارتعش جميع من في القاعة لهذه اللهجة القاسية ، وهــذا الاستقبال الفاتر ، ومدوا ايديهم الى سيوفهم وخناجرهم ، وتمالك الــدوق نفسه ، وقــال :

ــ تعلمون يا مولاي ، ان اخي الكردينال رئيس حزب الاساقفة ، وقد اتى يمثلهم عند دعوتكم النواب للحضور •• كما ان اخي الدوق دي مايان زعيم النبلاء في اللورين ، قد اقبل يمثل هؤلاء النبلاء ايضا •

فأجابه الملك بلهجة قاسية :

ــ وانت ايها الدوق •• فاني لا ارى فيك غير زعيم ثورات ورئيس مؤامرات •

واصفرّ وجه الدوق من هول التهمة •• ومضى الملك يقول :

ــ اني لم اسألك عن اخويك ، واني سألتك عن نفسك ، فمــا الذي جئت تفعله هنــا ؟

وتقدمت الملكة كاترين من كرسي ولدها ، فأحس الدوق بالشر ، وقال في نفسه :

ــ اذا بدرت منهما بادرة غدر ، ناديت رجالي ، وليكن ما يكون •

وقالَ الدوق :

ــ اني يا سيدي احد النبلاء الذين دعوتهم ، وقد رأيت مـن واجبي تلبية الدعوة •

فعاد الملك يقول :

ــ اني لا اسألك عن سبب قدومك الى (بلوا) ، ولكن الى هنا •• الى قصر الملك فما الذي جئت تفعله ؟

فتلعثم الدوق ، ولم يحر جوابا ، وهمس الكردينال في اذنه ، وكـان اثبت منه جنانا :

ــ ما هذا الجبن ؟ ولماذا لا تجرد حسامك ؟

ومضى الملك يقول :

ــ ثم انك اتيت لمقابلتي ومعك عدد كبير من الحرس والحاشية ، لا اسير انا على رأس مثلهم ولو شاهدنا المارة لظنوك الملك دوني •

حاولت كاترين ان تتدخل ولكن الملك قاطعها ، ومضى يقول للدوق :

ــ دعيني وشأني فليس هنا غير ملك واحد ، ومتى تكلمت وجب على الجميع ان ينصتوا ويسمعوا •

ثم التفت يقول للدوق :

ــ اني اهنئك بهذه الحاشية ، ولكنها لا تزال تنقص رجلا ، وهو ذلك الراهب الذي اراد قتلي في كنيسة شارتر ، العلك نسيته في باريس ؟

وعظم هياج حاشية الملك عند سماعهم هذا الكلام ، وعادوا يتحسسون سيوفهم ، والتفت الدوق الى الباب ، كمن يهم بالإستنجاد برجاله •

ولكن كاترين اسرعت فتدخلت بعد ان استأذنت من ولدها الملـك ، وقالت للدوق :

ــ لا بد انك تعلم ايها الدوق اننـا اكتشفنا مؤامرة لقتل الملك فـي شارتر ، لولا رحمة الله التي انقذت الملك ، وقد جاء هذا القاتل معك من باريس ، وهو ما اراد جلالته ان يقوله •

وانكر الدوق ان يكون له علم بهذه المؤامرة ، او ان هناك رجـلا في المملكة كلها يريد الاساءة الى جلالة الملك •

وابتسمت الملكة وقالت :

ــ والآن وقد جئت لزيارة جلالته ، فهو يريد سؤالك عن السبب في هذه الزيارة ؟

وتمالك الدوق نفسه ، واغتنم هذه الفرصة ، فاعلن انه جاء يدعـو الملك للعودة الى عاصمته ، ويقول هذا على ملأ من جميع النبلاء الـذين اتوا معه •

وقد امر الملك بفتح باب القاعة ، فسمع الجميع كلام دي كيز، ومضى الدوق ينكر ان تكون له علاقة بالفتن والثورات التي وقعت في فرنسا ، وانه لولا وقفته الشديدة ضد الثوار لاستفحل الامر •• وتطور المـوقف وختم حديثه : وقد جئت اضع حسامي تحت قدمي جلالة الملك ، واعرض عليه سلما موطد الاركان اذا كان هناك خلاف وخصام •

وقد اضطرب اتباع الدوق وانصاره لهذا الكلام الذي اعلنه زعيمهم امام الملك ، واعتذر له آخرون بانه يتظاهر بالطاعة والخضوع والمسالمـة لغاية في نفسه •

وكانت هناك قلة تعرف اغراض الدوق فلم تدهش لهذه التصريحات • وقال الملك :

ـ اتعيد ما قلته الان ايها الدوق امام الهيكل في الكنيسة ؟
فتردد الدوق لحظات ، ثم قال :
ـ بالتأكيد يا مولاي ، وعندما يصدر امر جلالتكم •
ـ اتقسم بالقربان المقدس يمين المسالمة والاخلاص ؟
فقال الدوق :
ـ اني مستعد لحلف اليمين يا مـولاي عند عودتنا الى باريس فـي كنيسة نوتردام •
فقاطعه الملك :

ـ بل تحلف هذا اليمين هنا ، وفي كنيسة بلوا فان الكنائس سواء عند الله •• وسنذهب الان الى الكنيسة •

وخاطب الملك كريلون رئيس حراسه وقال له :
ـ سنذهب الى الكنيسة يا كريلون ، ليسمع الجميع قسم الدوق ، واما الان فاتركوني وحدي •
ولما خلا الى امه ، تحدث اليها ، بشوقه للعودة الى باريس •
فقـالت له :

ـ يبدو انك تريد العودة اليها لتعود لحياة العبث واللهو •• وانفاق الامـوال دون حساب ، ولـكن المجالس النيابية قـد لا تقرك على هذا الاسراف •• والشعب لن يسكت الى الابد عليها ••

« ولتعلم يا بني ان الخلاف بيننا وبين دي كيز لم ينته ، وهو سيقسم هذا القسم مكرها ، وسيحنث به في الوقت المناسب » •

ولكن الملك لم يلق بالا لتحذيرات امه ، وذهب الى الكنيسة مـع رجاله ، حيث حلف الدوق دي كيز يمين الاخلاص للملك امام جمع غفير من النبلاء والجنود •

ولما انتهت الصلاة ، غادر الملك الكنيسة بعد ان دعـا الدوق للعشاء عنده مع اخويه .

وظـل رجال دي كيز حول الكاردينال شقيقه في الكنيسة ، وهـم يصيحون ويقولون :

ـ هذه خيانة .. فليس من حق الدوق ان يحلف باسم سواه .. وان يربط اعضاء الحزب المقدس بما ربط به نفسه .

وقال الكاردينال يطمئنهم :

ـ تمهلوا ايها السادة واسمعوا ما اقوله ..

« لقد اقسم اخي الدوق يمين الولاء ، ولكن لمن » ؟

فصاح الجميع :

ـ للملك طبعا .

ـ ولكنه لم يقسم يمين الولاء لهنري الثالث .. بل لملك الحـزب المقدس ، الذي ستختارونه انتم .. وليس لهنري الثالث الذي سيموت .

— ٢ —

رأس الدوق

سر الجميع لهذا التفسير وسرّي عنهم ، وعادوا الى مرحهم ولهوهم وعبثهم •

ولما جلسوا لتناول الطعام على مائدة الملك ، كان الفلكي ريجيري يراقبهم من نافذة تطل على صالة الطعام •• فلما انتهوا من الطعام قاموا يلعبون الورق ، حتى اذا احس الملك بالتعب غادرهم وأوى الى فراشه •

وغادرت الملكة كاترين القاعة على الاثر في طريقها الى الغرفة التي كان فيها الفلكي ، فالتقت (مورفر) في طريقها ، فصاحت تقول :

ـ مورفر •• اننا لم نرك من زمن بعيد ؟

فقال :

ـ نعم يا سيدتي •• انا مورفر •• الذي هو من اخلص المخلصين لجلالتك •

فقالت بهدوء مرعب :

ـ ما الذي كنت تفعله يا مورفر حين غادر ولدي الملك باريس ؟
فقــال :
ـ لقد فهمت قصدك يا سيدتي ، فقد كنت في خدمة الدوق دي كيز كل هذه الفترة ، وكنت من اعضاء حزبه المقدس ومن العاملين على اقصاء الملك عن عاصمته ، ولكن السبب في هــذا كله ، تجاهلك لي بعد كــل الخدمات التي قدمتها لك اثناء المذبحة العظيمة ، وبعد ان قطعــت رأس كوليني وجئتك به •• فكان ان انتقلت الى المعسكر الآخر •• بعــد ان تجاهلت خدماتي ، ونسيت مكافأتي •

واشتد بالملكة الغضب بعد هذا الجواب ، وامرته بمغادرة المكان •

ولكن الفلكي الذي كان قد سمع طرفا من الحديث ، تدخل واشار اليها اشارة خاصة ، فبدلت لهجتها وقالت :
ـ لقد عفوت عنك يا مورفر ، رغم ما سمعته منك مــن التصريحات الغريبة •

فركع عندئذ مورفر على قدميها وقال :
ـ استطيع الان ان احدثك بما جئت لاجله •
فادركت الملكة انه يحمل اليها سرا كبيرا فقالت :
ـ تكلــم •
وقال الفلكي :
ـ لا بد انه يحمل اجلالتك نبأ عظيما يستحق عليه المكافأة والثواب •
فقال مورفر :
ـ بالتأكيد •• لقد اتيت احمل الى جلالتها رأسا ايضا ، كما فعلت في مذبحة برتلماوس •

واحمر وجه الملكة من السرور •• وادركت ان هذا الرأس الجديد لا بد ان يكون رأس الدوق دي كيز •• فليس من خطر على الملك اليوم غيره •

سألتـه :

ـ ماذا تطلب مقابل ذلك ؟

فقـال :

ـ اني اكتفي بثلاثمائة الف دينار ، وهو مبلغ قليل لان الرأس الذي اتكلم عنه يساوي اضعاف هذا المبلغ .

فقالت الملكة في نفسها :

ـ بل انت على استعداد لتخون سيدك دي كيز مجانا لحقدك عليه .

وطلبت الملكة من الفلكي ان يأتيها بورقة من الاوراق الموجودة في الدرج الثالث من خزانتها ، وكانت هذه الاوراق حوالات على الخزينة لم تذكر فيها المبالغ التي يراد صرفها ، وهي موقعة بامضاء الملك هنري الثالث ملك فرنسا .

وقد وقعت كاترين على الورقة بمبلغ خمسمائة الف دينار باسم (مورفر) على ان يقبض المبلغ في باريس ، وفي اليوم التالي لموت دي كيز .. وحين يستقل الملك بالحكم والسلطان .

وسر (مورفر) بالنجاح الذي حصل عليه ، فقد كان همه الحصول على المال اللازم والهرب من بارداليان الى ارض الله الواسعة ، والانتقام من دي كيز الذي اغفله وتهاون في امره ، واحتقره .

وضع (مورفر) الورقة في جيبه ، واخرج من سترته ورقة ثانية وهو يقول :

ـ لقد اعطيتني ورقة على الخزينة يا سيدتي ، وانا سأقدم لك ورقة قد تطيح برأس دي كيز اذا قرر الملك ذلك .

واخرج رسالة دي كيز الى فوستا ، وهي التي احتفظ بها ، واعطى فوستا الرسالة المزورة .

واخذت كاترين تقرأ ما يلي :

« سيدتي

« لقد اقتنعت من كلامك حتى لم اعد اطيق الصبر على تنفيذ المشروع الخطير الذي رسمت لي خطته ، واصبحت لا استطيع الصبر لا شهرا ولا اسبوعا ، وانا مسافر على التوالي (بلوا) لتنفيذ الامرين الخطيرين اللذين اتفقنا عليهما .. وهما قتل من تعرفين ، واتحاد قوتينا كما تعلمين .

الامضاء

هنري دي كيز

(في الوقت الحاضر)

ولقد قرأت كاترين الرسالة اكثر من مرة ، حتى استوثقت من الاغراض الواضحة التي ترمي اليها بكلمات مبهمة .. ثم سألته :

ـ لمن اراد ارسال هذه الرسالة ؟

ـ الى الاميرة فوستنا .

ـ اذاً فهي لم تصل اليها .

ـ بل لقد ارسلت نسخة مقلدة منها ، زيادة في الحيطة والحذر .

فسرت الملكة بهذا الجواب ، وقالت :

ـ اواثق انت ان احدا لم يطلع على هذه الرسالة ؟

ـ كل الثقة .

وعندئذ اشارت الملكة اليه بالانصراف ، ثم استندت على المائدة بيدها واخذت تفكر .



غادرت فوستا قصرها الى (بلوا) بعد ايام من سفر الدوق دي كيز الى باريس •

وفي الساعة التي برحت فيها العاصمة من باب مونمارتر ، اقبل اليهـا بارداليان من باب سانت دنيس ، بعد ان تمكن من انتزاع رسالة فوستـا الى الكسندر فرنيز من الكونت الذي بارزه وجرحه ، وتركه يعـالج في احدى القرى البعيدة عن العاصمة •

فلما علم بسفر الدوق الى (بلوا) كر راجعا مـن حيث اتى ، وقرر السفر الى (بلوا) ايضا ، لعله يعثر على (مورفر) او يقع على (دي كيز) فينتقم من الاثنين معا •

ومر في طريقه بدير اليعاقبة حيث زار (جاك كليمانت) •• فعرف منه انه لا يزال مصرا على قتل الملك ، ولكنه ينتظر كلمة من بارداليان تقول له •• أنت وشأنك •

فهز بارداليان رأسه وقال :

ـ الافضل ان تنتظر قليلا ايضا •• وبهـذه المناسبة تعال معي الـى (بلوا) فاني مسافر اليها ، وبحاجة الى رفيق في الطريق •

وما كاد الرجلان يغادران الدير حتى ارسل رئيسه رسالة الى الدوقة دي مونتبأنسيه يخبرها فيها ان جاك كليمانت في طريقه الى (بلوا) •

وكان رئيس الدير قد سمع الحديث الذي دار بين الرجلين مـن خلف الباب ، وظن ان بارداليان لا بد ان يكون احد المتآمرين ، وانه هو الذي يقرر الساعة التي يجب فيها ان يضرب الراهب ضربته •

وكانت الملكة كاترين في هذه الاثناء ، وبعد ان تسلمت من (مورفر) رسالة الدوق دي كيز الى فوستا ، قد راحت تراقب الدوق ، وتفكر فـي اللحظة المناسبة ، التي تفاجىء فيها دي كيز بسر جريمته •

وكان قد وصل في هذه الاثناء رسول من ملك النافار يحمل رسالـة

الى الملك هنري الثالث ، فقرأ الملك الرسالة امام النبلاء والاعيان الذين كان يغص بهم قصره ، فاذا ملك النافار يطلب ان تعاد الى الهيكونوت املاكهم التي وضعت الدولة يدها عليها ، وان يقر مبدأ حرية الدين ، فضج الحاضرون من الطلبين ، واخذوا يضحكون ويتندرون بهما ، واجاب الملك رسول ملك النافار بانه سوف يدرس هذين المطلبين ، وانه سيكلف الدوق دي كيز قائد الجيوش بحمل رسالته هذه ٠

وعلا على الاثر هتاف النبلاء والاعيان ، واعتبروا كلام الملك دليلا على اعلان الحرب على الهيكونوت ٠

ولما حمل رسول ملك النافار جواب ملك فرنسا اليه ، قرر هذا تعبئة جيشه ، والوصول الى اغراضه ومطالبيه بحد السيف ٠

وفي هذه الليلة اجتمعت الملكة كاترين الى ولدها ، واخبرته بان الدوق دي كيز يريد قتله ، واعطته الرسالة ، فقرأها ، وبدا الخوف واضحا على وجهه ، ثم سألها : متى حصلت عليها ٠

فاجابته : منذ اسبوع ، فسرّى عندئذ عن الملك وقال :

ـ لقد كتب هذه الرسالة قبل ان يقسم في الكنيسة يمين الطاعة والاخلاص ٠

ولما حاولت الملكة اقناعه بان الدوق سوف يخونه ويحنث بقسمه رفض تصديقها فطلبت منه مهلة ايام ثلاثة ، لتحمل اليه البرهان القاطع على خيانته ٠

فقال لها الملك :

ـ اذا حصلت على هذا البرهان فسأقضي على الدوق القضاء المبرم ٠

« نعم اذا فعلت ، وحملت اليّ الادلة الثابتة على خيانته دعوت ابسل رجالي وطلبت منهم ان لا يعودوا اليّ الا برأسه » ٠

ولكن الملكـــة نصحته ان يظل هادئا مجاملا لـــه حتى تسنح الفرصة المناسبة لقتله •• هو ورجاله •

★★★

وقع هذا في يوم الاحد •

وفي مساء هذا اليوم نفسه وصل الى مدينة (بلوا) الراهب الـــذي ارسله رئيس دير اليعاقبة حاملا رسالة منه الى الدوقة شقيقة الدوق دي كيز •• التي يحبها جاك كليمانت حبا جما ، والتي كانت تحاول التقرب منه وتظهر امامه بمظهر الملاك الذي يأمره بقتل الملك •

وقد وصل هذا الراهب الى فندق القديس متى عند وصوله مساء يوم الاحد •• فوجده فنـــدقا فاخرا قد اجتمع في قاعته عـــدد كبير من رجال الدوق دي كيز يشربون ويعبثون •

حاول العودة من حيث اتى •• والبحث عـــن فندق آخر اقل نفقـــة واسهل منالا ، وفيما هو في سبيله شاهد (مورفر) يجلس على مائدة وحده يتأهب لتناول طعامه ، فاهتاجت معدته ، وعرف في مورفر صديق الـــدوق العزيز ، وقال في نفسه :

ــ لقد بلغت غايتي فانا لا اعرف احدا في هذه المدينة ، وسأسأل مورفر فيرشدني الى مكان الـــدوق دي مونتبانسيه ، ولا بـــد ان يدعوني الى مائدته ، فاملأ معدتي الفارغة طعامـــا شهيا فاخرا •• لم اذق مثلـــه منـــذ سنوات •

تقدم الى مورفر وسلم عليه قائلا :

ــ السلام على سيدي المركيز دي مورفر •

فاجابه مورفر بجفاء :

ـ لست بمركيز .

لم يتأثر الراهب لهذا الجفاء ، فقد كانت رائحة الطعام قد ملكت عليه كل حواسه ، فمضى يقول :

ـ يسرني يا سيدي بل يسر رئيس دير اليعقوبيين ان يعلم اني تشرفت بمجالستك .

بدا الاهتمام على وجه مورفر ، وسأل الراهب ؟

ـ هل رئيس الدير ارسلك الي ؟.

ـ لم يرسلني اليك مباشرة .. ولكني اكاد اموت من الظمأ فاسمح لي يا سيدي بان اشرب قدحا من الخمر .

وقد صب لنفسه كأسا دون ان ينتظر اذنا من مورفر ، وهو يقول :

ـ اني اشرب نخبك ونخب الحزب المقدس ونخب موت الظالم .

وارتعش مورفر وادرك ان الراهب يحمل سرا ، وسأله بصوت خفيض :

ـ هل جئت الى (بلوا) لهذا الغرض ؟

ولم يكن الراهب بالتأكيد يعلم حقيقة المهمة التي ارسله رئيس الدير بها ، فغمز بعينه وشرب كأسا ثانيا .

فظن مورفر ان هذا الغمز دليل الايجاب ، ولم يكن هناك ما يشغله طوال الاسبوع الفائت غير موت دي كيز ليقبض الحوالة ، ويغادر فرنسا ، وتولاه الاضطراب مخافة ان يستبق الدوق الحوادث ويقتل الملك فيخسر مورفر كل شيء ، فسأل الراهب ان يتبعه ، لان المكان لا يصلح لمثل هذا الحديث ، ففعل الراهب ، وذهبا معا الى فندق متواضع يسكن فيه مورفر حيث قدم للراهب عشاء شهيا لم يأكل مثله في حياته .

وبعد ان شرب الراهب عددا من كؤوس الخمرة اخبره بالرسالة التي

يحملها الى الدوقة شقيقة دي كيز . وسأله ان يذهب به لمقابلتها ليسلمهـــا الرسالة يدا بيد كما امره رئيس الدير ان يفعل •

حاول مورفر ان يأخذ الرسالة منه ويذهب بها الى الدوقة ، لان الوقت ليل ومن الصعب مقابلة الراهب لها في مثل هذه الساعة •

وزاد يقول : ان الدوقة سوف تسافر غدا وقد لا تعود قبل شهر •

ولكن الراهب رفض تسليم الرسالة الا للدوقة نفسها ، فقال مورفر :
ــ اذا كان الامر كذلك فلم يبق امامنا الا ان نذهب اليها ونوقظهـــا من نومها •
ــ هيا بنا •• اين تقيم الدوقة ؟
ــ في منزل قريب من قصر الملك • .
ولما وصلا الى اطراف القصر الذي يقيم فيه الملـــك ، وكانت الارض مليئة بالحفر والماء ، سأل مورفر الراهب عن الرسالة فقال :
« انها في صدري » فطعنه بخنجره والقاه في احدى هذه الحفر ، بعد ان انتزع الرسالة منه ، وقرأ فيها ما يأتي :

« سيدتـــي
« اتشرف باخبار سموك الملكي ان الراهب قـــد سار في طريق بلـــوا متقلدا الخنجر الذي تعرفينه •

« فاذا سلم قالوا هذه المرة ايضا •• فلا شك ان الشيطان يحميه •
« ولست اعلم اذا كان الراهب سوف يجرأ على زيارتك ، فاذا لـــم يفعل فعليك بالبحث عنه لتشديد عزيمته للاقدام على الامر الخطير •
« ولتعلمي يا سيدتي انه سافر مع فارس من اهل البسالة والاقـــدام ولست اشك انه من رجال حزبنا •
« ورجائي يا سيدتي الدوقة ان يكون يوم الفوز قريبا ، وان لا تنسي

ان تذكريني بالخير عند اخيك العظيم •• وفي انتظار ذلك ادعو الله لــه بالتوفيق والنجاح » •

ولم يوقع رئيس الدير رسالته هذه ، مكتفيــا باشارة صار الاتفاق الاتفاق عليها •

ولكن تلقيبه الدوقــة باللقب الملكي ، كان يؤكــد معرفتــه بالسر ومشاركته فيه •

وقال مورفر في نفسه :

ــ يجب ان اذهب بهذه الرسالة حالا الى الملكة كاترين ليتم القضاء على الدوق دي كيز سريعا •

واسرع الى القصر الملكي ، وطلب من رئيس الحرس مقابلة الملكــة ، فظنه الضابط مجنونا ، ولم يعرفه ، لان مورفر اخفى وجهه بوشاحــه ، ولكن مورفر أكد لرئيس الحرس ان الامر خطير جدا ، وان الملكة ستكون مسرورة من استقباله ، فذهب رئيس الحرس الى غرفة الملكة ثم عاد يدعو مورفر لمقابلتها وهو يعتذر له •

ولما مثل مورفر امام الملكة ناولها الرسالة وهو يقول :

ــ من رئيس دير اليعقوبيين الى الدوقة دي مونتبانسيه •

قرأت الملكة الرسالة بسرعة ، ثم قالت :

ــ يجب ان نستوثق من الرجل الذي حملها •

ــ لقد قضيت عليه يا سيدتي ، وهو الآن في حفرة ماء بالقرب مــن القصر •

فارتعشت كاترين وقالت في نفسها :

ــ لن يدهشني ذلك •• وهو ممن تخرجوا من مدرستي •

وبعد ان صرفت مــورفر ، ذهبت الى الملــك فايقظته ، واطلعته على الرسالة وهي تقول :

ـ لقد سألتك مهلة ثلاثة ايام ، ولكن القدر حمل اليّ البرهان بعد ثلاث ساعات ، ولتعلم ان الوقت ثمين فاذا لم تقتل اعداءك قتلوك لا محالة.

★★★

دعا الملك النواب في اليوم التالي لجلسة كبرى ، والقى عليهم خطابا ندد فيه بالانقسام والتفرقة ، وتعهد لهم انه سيقضي على البدع واصحابها.

فهتف له الجميع ، وتناولوا بالبحث شؤون الدولة .

ولما انقضت الجلسة ، وخرج الملك الى قاعة الاستقبال احس بالرعشة تسري في جسمه ، حين كان يشاهد رجال دي كيز يضحكون ويتندرون ، كأنما هم واثقون من انفسهم ونجاحهم ، ولكنه كان يتمالك نفسه حين يشاهد امه هادئة مطمئنة ، وكانت قد اوصته ان يتقرب من الدوق دي كيز واسرته ، وان يمنّيهم باحسن الوعود والمكافآت .. وان ينتظر الفرصة السانحة التي تمكنه من القضاء عليهم جميعا .

وكذلك جعل يفرّق الرتب والوظائف على اهل دي كيز ورجاله ، حتى لقد انخدع الدوق نفسه بهذه المظاهر ، وقال في نفسه :

ـ لقد اخذ يسلم لي نفسه مكتوف اليدين .

وبعد ان فرغ الملك من توزيع الرتب والوظائف الكبرى على رجال دي كيز اشارت له امه اشارة سرية فالتفت الى الدوق دي كيز وقال له :

ـ انك نائب رئيس القصر الملكي اليس كذلك ؟

ـ نعم يا مولاي .

فقال الملك :

ـ اذاً لماذا لا تتمتع بامتيازات منصبك ، اني اريد سلاما تاما في مملكتي ، ومفاتيح القصر يجب ان تكون بيد رئيس القصر .. ولهذا فستكون هذه المفاتيح عندك منذ هذه الليلة .

وصاح رجال الدوق فرحا واستحسانا ، وذهـل رجال الملك لهـذا التبدل المفاجيء •

وقد عادت هـذه الحركة على الملك بفائدتـين •• فان رجاله قرروا المزيد من المراقبة والحذر ، فيما انقسم رجال الدوق بين مصدق ومكذب لنوايا الملك واغراضه •

فلما كان الخامس من شهر كانون الاول سنة ١٥٨٨ ، امطرت السماء كثيرا ، فلزم الملك غرفته لتوعك اصابه من شدة البرد •

وكان الدوق دي كيز قد زار القصر برفقة مائة من اعوانه كانـوا لا يفارقونه ، ثم عاد ادراجه حين علم بان الملك سيلزم غرفته ، كما غادر القصر رجال الملك فلم يبق فيه غير الحراس والجنود •

وكان الملك قد جلس امام الموقد مع امه ، حين دخل رجل قـد ستر وجهه بوشاحه فعرفه الملك وامه ، ولم يلقيا بالا لهذه المبالغـة في الخفاء والتستر •

قال لهما بصوت خفيض :

ــ لقد دنا الوقت ••

ارتعشت الملكة وسألته :

ــ متى يكون ذلك ؟

فقال الرجل :

ــ لا اعلم الوقت بالتدقيق •• ومتى عرفته اتيتكما بخبره •

ولم يكن هذا الرجـل غير (مورفر) وقـد صرفته الملكة بعد ذلـك ونصحته بمغادرة القصر من السلم الصغير كالعادة •

وقامت الملكة بعد ذهابه ففتحت بابـا ، واشارت بيدها فاقبل عـلى الغرفة خمسة عشر نبيلا ، بينهم كريلون قائد الحرس ، وكالابر ، والكونت دي لوان ، حتى اذا اخذوا اماكنهم حول الملك قال لهم جلالتـه بهـدوء عجيب :

ـ ان الدوق دي كيز يريد قتلي ايها السادة .

وذعر الجميع لهذه المفاجأة ، ومدوا ايديهم يتحسسون سيوفهم وخناجرهم ، وبعد ان هدأ روعهم ، سألهم الملك واحدا بعد الاخر رأيهم فيما يجب ان يفعله .

نصح كريلون بمحاكمة الدوق .. ليعرف خبر هذه الجريمة الجميع حتى اذا عوقب مرتكبها اطمأن الشعب الى ان القاتل قد نال جزاءه .

ولما شاهد (كـيرلون) ان الملك لم يرتح لرأيـه اعلن عن استعداده لمبارزة الدوق وقتله ، فاذا قتله الدوق تعرض له آخر من انصار الملـك حتى يقتل .

ولكن الملك لم يوافق على هذا الرأي ايضا ، وغادر كيرلون القاعة ، فسأل الملك (بيرون) رأيه ، فنصح بالمحاكمة ايضا فاعترضت كـاترين ، وقالت :

ـ ان محاكمته تثير علينا اهل باريس ..

اما الكونت دي لوان فقد اعلن انه مع احترامه لاراء الاخرين لا يرى قاضيا اعدل من هذا .. وجرّد خنجره .

وقد وافق الباقون من رجال الملك على هذا الرأي ، وهو الرأي الذي كانت تراه كاترين ايضا ، وصرخوا بصوت واحد :

ـ ليمت الخائن .

اشارت اليهم كاترين ليقتربوا منها ، واخذت تتحـدث اليهم بصوت منخفض ، فقالت :

ـ اين يجب ان يكون القتـل ؟ وارى انه لا يجب ان يقـع في منزل الدوق ولا في الشارع وانما هنا وفي هذا المكان .. في قصر الملك نفسه .

واما الامر الثاني : فهو متى يجب ان يتم القتل ، وهو ما سنعرفه غدا .
واما الامر الثالث ، فهو كيف يكون القتل ، وهو ما سأتحدث به اليكم .

- ٣ -

مقتل الدوق دي كيز

وقف بارداليان في هذه الليلة التي تم فيها الاتفاق على قتل الدوق دي كيز ، بين رجال الملك ، امام مائدة حوت شرابا وطعاما فاخرا ، في فندق قريب من القصر الملكي ، ينتظر ضيفه •

وكان بارداليان قد التقى منذ ساعات بكريلون قائد حرس الملك، بعد ان غادر الاجتماع في القصر ، واعلن معارضته لقتل الدوق دي كيز ، مفضلا تقديمه للمحاكمة ، وصدور الحكم عليه •

وفيما هو في الطريق بعد خروجه من القصر التقى ببارداليان ، فعرفه وسر بلقياه ، وسأله عما يريده ، فطلب منه بارداليان ان يقدمه للملك •

فوعده كريلون ان يفعل ، واخبره ان الملك يعرفه ويقدره وان كريلون قد تحدث عنه كثيرا امامه ، وذكر لجلالته كيف ساعده على مغادرة باريس للحاق به ، رغم معارضة الدوق دي كيز •

وشكر بارداليان صديقه كريلون كثيرا ، وطلب منه قبول دعوته ، وتناول الطعام على مائدته ، في الفندق القريب من القصر •

ووافق كريلون على الدعوة ، ووعده بزيارته في الفندق مساء •

ولهذا رأينا بارداليان ينتظر ضيفه في اول هذا الفصل ويتأمل المائدة التي اعدها له صاحب الفندق بشيء كثير من الاهتمام ليتأكد من انها سوف ترضي صديقه وتسره •

فلما اقبل كريلون اخيرا وشاهد المائدة ، هتف قائلا :

ــ اراك ايها الصديق تعاملني معاملة الامراء •

فضحك بارداليان وقال :

ــ انت في نظري اعظم وانبل من اي امير •

ومضى الصديقان يأكلان ويشربان •• ثم قال بارداليان لصديقه فجأة:

ــ اتعلم ايها الصديق انهم يريدون قتل الملك ؟

فأجفل كريلون لسماعه هذا الخبر ، يصدر من بارداليان ، وسأله كيف عرفه ، فاخبره انه حضر بعض اجتماعات المتآمرين •

سأله عن اسماء المتآمرين ، فقال :

ــ حسبك ان تعلم ان كبيرهم هو الدوق دي كيز •

« ويجب ان تعلم يا صديقي اني لا اريد مقابلة الملك كما اخبرتك في الطريق منذ ساعات ، وانما اريد منع حدوث هذه المؤامرة •• لاني لست من الجواسيس لانقل الى الملك اخبار المتآمرين ، فهذا شأن رجاله والمكلفين بحمايته •• وكل ما اريده منك هو ان تدخلني الى القصر ليس لمقابلة الملك ، فهذا امر لا يهمني ، وانما لاكون قريبا منه واحميه » •

جمد كريلون في مكانه ليقول بعد لحظات :

ــ اتعلم انك تكلفني قضاء مهمة خطيرة جدا ؟

ــ بالتأكيد •

ــ اتعلم ايضا اني لا اعرف منك الا القليل ؟

ــ هذا صحيح •• ولكني انا اعرفك حق المعرفة ، فقل ما تريد ان

تقوله ، ولا تخشى الاساءة الي" •

فقال كريلون :

ـ لو كنت انت الذي يريد قتل الملك لكان هذا سبيلك للوصول اليه•

فقال بارداليان :

ـ نعم فان كل الظواهر تدل على ذلك •

فأشرق وجه كريلون حين ابصر هدوء بارداليان لشكوكه وقال له :

ـ ولكنني اثق بك رغم كل ذلك ، فقد عرفتك باسلا شجاعا ، وقـد سمعت منك كل ما يسر ويرضي •

ـ ولهذا اريد منك ان تساعدني على دخول القصر سرا ، وان اكون في مكان لا يمكن للقاتل ان يصل منه الا اذا لقيني في طريقه •

فقال كريلون :

ـ اتعهد لك بذلك •• ولكن كيف السبيل الى معرفة اليوم الـذي سيتم فيه القتل ؟

ـ سوف ارسل اليك من يخبرك به •

ـ اذن اتفقنا •

ومضى الصديقان يشربان ويتندران ، ثم افترقا بعد ان ودع احدهما الاخر وداعا حارا •

وكان بارداليان قد فعل ذلك ، وطلب هذا الطلب من كريلون بعد ان عرف من (جاك كليمانت) ان رئيس الدير قد ارسل راهبا خلفهما، يحمل رسالة خاصة، وان هذا الراهب قد قتل •

ولما ذهب جاك بعد وصوله الى (بلوا) لزيارة الدوقة شقيقة الدوق دي كيز ، التي كانت تحرضه دائما على قتل الملك ، استقبلته استقبـالا فاترا ، فادرك انهم قد كلفوا غيره بقتل الملك ، فكان ان قرر بارداليـان

التدخل لوقف هذه الجريمة ، ورد كيد الدوق دي كيز ورجـاله الـى نحورهم •

★★★

كان القصر يعج بالزائرين كما بدا من الخارج •• تلألأت انـواره ، وبانت الحركة حول كل نافذة وباب ، من نوافذه وابوابه •

وكانت الساعـة العاشرة لما اقبـل شخص نحـو القصر يمشي مشية الخائف ، وقد جرّد خنجره بيده وستر وجهه بوشاحه •

وكان هذا الرجل مورفر ، وقد بلغ من خوفه ووهمه انه كـان يظن بارداليان خلفه ، او قدامه ، او ينتظره في ركن من اركـان الشارع ، او خلف باب من ابواب منازله •

لقد سمع الراهب رسول رئيس الدير •• يحدثه عن (جاك كليمانت) ، الذي غادر الدير برفقة فارس باسل ، عريض المنكبين ، فخشي ان يكـون هذا الفارس هو بارداليان ، وراح يبحث عنه في كل فنادق المدينة ، دون ان يقع على اثر له •

ولكن خوفه منه كان فوق الطاقة والامكان ، ولهذا كان ابدا لا يسير الا وهو حذر مترقب ، لا يأمن على نفسه في طريق او فندق •

ولما وصل الى حيث وقف حراس القصر ، اعطاهم كلمة السر ، فلمـا وصل الى الحراس الآخرين ، القى اليهم بكلمة سر اخرى •

ووصل اخيرا الى القصر ، ولم يعد امامه من يعترضه ، فسار توا الى القاعة التي كان يعقد فيها الاجتماع ، واختبأ وراء احد ابوابها ، يستمـع الى الحديث الذي كان يدور في الداخل •

وكان المجتمعــون في هذه الجلسة السرية ، الــدوق دي كيز وافراد اسرته ، كأخويه الدوق دي مايان ، والكردينال دي لورين ، واخته الدوقة دي مونتبانسيه ، والكردينال دي بوربون •

وكانوا قد انتهوا من حديثهم لما وصل مورفر ، وغادروا القاعة ، فلم يبق فيها غير الدوق دي كيز ، وشقيقته ماري •

وعندئذ فتحت (ماري) بابا يشرف على ردهة كان يجلس فيهــا نفر من رجال الدوق ، ودعتهم للدخول ، فدخل بيسي لكلرك ومنفيل ، وغيرهما من الرجال الذين كان يعتمد عليهم الدوق في شؤونه الخطيرة •

وبعد ان القى الدوق نظرة عليهم قال :

ــ لقد اكتمل عددنا •

فقال منفيل :

ــ كلا يا مولاي فلا يزال ينقصنا مورفر •

فقالت الدوقة :

ــ اني لم ادعه الى اجتماعنا هذا •• فقد اصبحت اشك فيه ، وعليكم بمراقبتــه •

فقطب (منفيل) حاجبيه ، ولم يكن هذا لاشفاقه على صديقه مــن هذه التهمة الخطيرة ، وانما لانه افضى له بكلمة السر عند اجتماعه بــه ، ولكنه لزم الصمت ولم يقل شيئا •

وبدأ الدوق الحديث بما ورد له من انباء عن القصر تؤكد ان الملــك اخــذ يشك به رغم القسم الذي قطعــه على نفسه •• فما رأيكم ايهــا السادة ؟

فقال احد المجتمعين :

ــ لقد سمعت احد المقربين للملك وهو صديق حميم لي ، يقول لي :

ـ قل لمولاك ان يعود الى باريس ، فان هذا البلد لا يوافقه في ايام عيد الميلاد •• ومعنى هذا ان القصر يشك بك كما تقول ، ومن الخير تأجيل ضربتنا الى فرصة اخرى •

ولكن الدوق رفض هذا الرأي ، واخبر المجتمعين انه اذا كان الملك يشك فيه ، فهو على كل حال لن يقدم على قتله ، وانه تقرر ان يكون اليوم الثالث والعشرين موعد العمل ، وان يقتل الملك في الساعة العاشرة من هذا اليوم •

ومضى الدوق يقول :

ـ وسيتولى كل واحد منكم قيادة فرقة من النبلاء تعطى له اسماء رجالها ، ومن حق كل منكم ان يرفض من هذه الاسماء من يشاء رفضه ممن لا يثق به ، وليكن الجميع متأهبين في الساعة الثانية من مساء الثالث والعشرين من شهر كانون الاول في الاماكن التي سنعينها لكل فرقة •

وسيبدأ الهجوم من ثلاثة مواضع ، ويتولى قيادة الهجمات انا وشقيقي ، وقد اوحى الينا الملك بهذه الخطة الجديدة عندما اعطانا مفاتيح القصر •

ولما وصل الدوق في حديثه الى هذا الحد قرر (مورفر) مغادرة القصر بعد ان حصل على ما يريده من المعلومات ، واسرع الى غرفته دون ان يفطن احد في الفندق لوصوله ، وخلع ثيابه ، وتظاهر بالنوم العميق •

ولما انتهت الجلسة غادر منفيل القصر مسرعا ليتأكد من وجود (مورفر) في الفندق ، فلما وصل الى غرفته وشاهده نائما ، قال في نفسه :

ـ لقد اساءوا الظن بصديقي •• فما هو من اهل الخيانة ، وما الذي سوف يكسبه من خيانة الدوق ، الذي وعده بمركز عظيم عند نجاح الانقلاب •

« ولم يبق عليّ بعد هذا الا ان احذره مما يبيت لـه حتى لا يصاب بسوء » •

وايقظ منفيل ، صديقه من نومه ، وسأله عن السبب في عدم حضوره الاجتماع في قصر الدوق الذي انبأه بخبره ، فاجابه : لسبب بسيط وهو انهم لم يدعوني اليه •• وسيسأل عني الدوق كثيرا في المستقبل ، اذا كان قد سأل عني في هذا الاجتماع •

وايقن منفيل ان صديقه مقضى عليه بالموت ، ما دام الدوق وجماعته قد اخذوا يشكون به ، فنصحه بمغادرة المدينة ، واخبره ان الجماعة يتهمونه ، وانه يحسن به الهرب من وجههم ريثما تهدأ العاصفة •

سأله مورفر :

ــ متى تريد ان اغادر المدينة ؟

ــ في هذه الليلة •

ــ وكيف اسافر ولا مال لدي ، وقد وعدني الدوق بمبلغ من المال لم يدفعه اليّ منذ خمسة اشهر •

عرض منفيل على صديقه ان يشاركه في المبلغ الذي يملكه ، وهو عبارة عن مائتي دينار •• يمكنه من الهرب من وجه اعدائه •

فوافق (مورفر) بعد تردد ، ولكن منفيل كان حاسما في حديثه، وقد اخبره انهم اذا صدروا اليه بالامر بقتله ، فسيضطر ان يفعل رغم صداقته له ، فقرر مورفر عندئذ ان يعمل بنصيحته ، وارتدى ثيابه ، واعطاه منفيل كلمة السر التي تمكنه من الخروج من (بلوا) ، وغادر الفندق لا يلوي على شيء ، بعد ان ركب جواده ، ولكنه لم يتوجه الى باب المدينة ، بل الى القصر الملكي حيث طلب مقابلة الملكة ، فلما مثل امامها ، قال لها :

ــ لقد عرفت الان يا سيدتي اليوم •• والساعة التي قرر فيهما الدوق

قتل الملك .

فارتعشت الملكة وقالت له :

ـ قص عليّ تفاصيل المؤامرة .

فقال مورفر :

ـ ارجو من جلالتك اولا ان تأمري بان يخرج فارس من باب المدينة.

ـ لمـــاذا ؟

ـ لانهم يحسبون اني غادرت البلد في هذه الساعة على جوادي ، فاذا سألوا غدا حراس الباب ، واكدوا لهم خروج فارس في الليل اطمـــأنوا وهدأ روعهم .

فنادت الملكة عندئذ رئيس حراسها وامرته ان يرسل فارسا الى البرج الواقع خارج المدينة ليتأكد من عدم وجود بعض الهيكونوت فيه .

وبعد ان خرج رئيس الحرس ، قص عليها مورفر ما سمعه ، وطلـــب منها ان تسمح له بالاقامة في القصر لانه يستحيل عليه بعد اليوم الظهور في المدينة فارسلت خلف الفلكي ريجياري وامرته ان يجهز لمورفر غرفـــة في شقته ، التي لا يحاول الوصول اليها احد لخوفهم من سحره وشعوذاته .

وذهب ريجياري بمورفر الى غرفة حسنة الريـــاش ، واخبره انهـــم سيأتونه بطعامه اليها ، ونصحه بفتح النافذة اذا ضجر من الوحدة فيشاهد الارض والنهر والغابات منها ... وحذره من ان يراه احد .

★★★

فلما اقبل الفلكي في صباح اليوم التالي لزيارة الملكة وتلقي اوامرها، التقى كيرلون رئيس حراس الملك ، فطلب منه هذا خدمة صغيرة مقـــابل

الخدمات العديدة التي قدمها له ، فاجابه الفلكي :

ـ انا على استعداد للقيام باية خدمة تريدها مني •

فقال كيرلون :

ـ اني مضطر لاسباب خاصة بخدمة الملك ان اخبيء في هذا القصر قريبا لي •• ولما كنت اعلم انك تعيش في عزلة عن الجميع فلا يدنو احد من غرفك ، فقد قررت اخفاء هذا النسيب عندك •

فقال الفلكي في نفسه :

ـ اني ساضع نسيب هذا الصديق الباسل في غرفة قريبة من غرفة (مورفر) فيكون عندي ضيفان بدلا من ضيف واحد •

واتفق الصديقان على الاثر ان يأتي كيرلون بنسيبه في الساعة السادسة من مساء اليوم نفسه •

وجاء بارداليان في الوقت المعين حيث استقبله كيرلون واخذه الى شقة الفلكي دون ان يراهما احد •• وكانت تقع في الدور الثاني من القصر •

ولما وصل الاثنان الى غرفة الفلكي ، عرّفه كيرلون على بارداليان ، وقدمه له كأنه نسيبه ، ومن الغريب ان الفلكي لم يعرف بارداليان الذي سجنه في الباستيل منذ ستة عشر عاما ، واراد قتله بالآلة الهاصرة ، كما وصفنا ذلك في كتاب سابق ، فرحب به الفلكي ، واخذه الى غرفة خالية لها ثلاثة ابواب وقال له :

ـ ان باب هذه الغرفة يشرف على غرفتي ، وبابها الثاني يشرف على الرواق ، وبابها الثالث يؤدي الى غرفة اخرى ، فلا تكثر من الحركة لانه يوجد بجوارك رجل آخر يريد الاختفاء مثلك •

لما تركه وشأنه ، واقفل الباب عليه قال بارداليان في نفسه :

ـ من يكون هذا الرجل الذي يريد الاختباء في القصر مثلي ؟•
ولكنه لم يفطن بالتأكيد ، ولم يخطر على باله ان يكون هذا الرجل (مورفر) •

★★★

رأت فوستا ان تتقرب الى البابا في هذه الفترة من الزمن ، وذلك قبل اليوم المعين لقتل ملك فرنسا ، فارسلت له رسولا ومعه كتاب منها ، تعلن فيه استعدادها لعدم العودة الى روما ، والتوقف عن معاداة البابا ، شرط ان يصدر الحبر الاقدس امرا بطلاق كاترين دي كليف زوجة الدوق دي كيز منه ، فوافق البابا على ذلك بعد ان درس الموقف ، وعاد رسول فوستا اليها بقرار الطلاق ، فدعت عندئذ الدوق دي كيز لمقابلتها في الواحد والعشرين من شهر كانون الاول سنة ١٥٨٨ ، واخبرته انها تريد منه الزواج بها حالا ، فلما اعترض بوجود زوجته ارته امر البابا بالطلاق ، وطلبت منه التوقيع عليه فوافق بعد تردد ، خصوصا بعد ان هددته بانه ان تردد ولم يفعل كشفت امره للملك وارسلته الى المشنقة •

وبعد ان وقع الدوق امضاءه على صك الطلاق صاغرا ، فتحت فوستا باب القاعة الكبرى فظهر للدوق ما ادهشه اذ رأس هيكلا اقيم في وسط تلك القاعة ، ورأى الكردينال دي بوربون بالملابس الكهنوتية، والكردينال دي لورين ، والدوق مايان ، والدوقة دي نيمور والدوقة شقيقة دي كيز، وهم جالسون على كراسيهم ينتظرون هذه الحفلة التي كانوا يتوقعون ان تكون •

والتفتت فوستا عندئذ الى الدوق دي كيز وقالت له :

ـ قدم ذراعك لخطيبتك وسر بها الى الهيكل •

فتنهد الدوق وامسك بذراعها ، ولو استطاع لقتلها ومشى بها الى الهيكل •

ولما اصبحا امام الهيكل رفعت فوستا الامر القاضي بطلاق الدوق من زوجته الى الكردينال دي بوربون وهي تقول في نفسها :

ـ لقد اصبحت الان ملكة فرنسا ، وقبضت على زمام الامر فيها •

★★★

اجتمعت الملكة الى ولدها الملك هنري الثالث في غرفته التي كان لها باب يشرف على الردهة الخاصة بالانتظار •

وكان لهذه الردهة ثلاثة ابواب ، احدها يشرف على القاعة والثاني على الغرفة التي ينام فيها الملك ، والثالث القائم الى اليسار على رواق داخلي ، ثم على سلم يؤدي الى قاعات الملكة •

وكان من عادة دي كيز ان يزور الملك كل يوم فيدع حراسه عند السلم ويصعد الى الردهة فيسأل من فيها عن الملك فيخبروه اذا كان في غرفته الخاصة ام في غرفة نومه ، فيدخل اليه •

وكانت الملكة وولدها يتحدثان في صباح هذا اليوم المعين لقتل الملك كما قدمنا عن الاستعدادات التي اعدتها كاترين لدرء هذا الخطر والقضاء على الدوق •• بعد ان اصدر الملك امره الى رجاله بان يفعلوا ما تأمرهم به•

وقد قامت الملكة بعد ان تحدثت الى ولدها ففتحت بابا كان يقف وراءه ثلاثون نبيلا من رجال الملك ، فاختارت عشرة من هؤلاء النبلاء وقالت لهم:

ـ تنحصر مهمتكم في الوقوف عند باب غرفة الملك والخناجر في

ايديكم ، واياكم ان تبرحوا مكانكم هذا مهما سمعتم من الاصوات في الغرفة المجاورة ، واذا حاول احدهم الدخول الى غرفة الملك ، وادركتم انه من الخصوم فلا تدعوه يصل اليه الا على جثثكم .

ثم عادت واختارت عشرة اخرين قالت لهم :

ـ انتم تبقون في القاعة الكبرى ، فاذا علمتهم بدخوله الى الردهة فاقفلوا الباب ، وقفوا خلفه وسيوفكم في ايديكم فاذا حاول احد الوصول الى غرفة الملك فموتوا قبل ان يصلوا اليه .

وبعد ان اقسموا ان يفعلوا ، دنت الملكة من ثلاثة من النبلاء وهم كالابر ، وسانت مالين ، وموتتساري ، الذين انقذهم بارداليان من الباستيل فقالت لهم :

ـ ادخلوا انتم الى القاعة وانتظروني ..

ثم التفتت الى السبعة الباقين وقالت لهم :

ـ واما انتم فاصغوا الي .. ان الدوق سيدخل الى هذا المكان، فلا يجد الملك في القاعة ، فيسألكم عنه ، فتقولون انه في غرفته الخاصة ، فيذهب اليها وتقفون في مكانكم ، فاذا استغاثوا بكم وطلب زملاؤكم النجدة اسرعتم اليهم ، وان لم يفعلوا فلا تبرحوا مكانكم ، واذا هوجم الذين في القاعة فاقفلوا هذا الباب ، وموتوا في مكانكم قبل ان تمكنوا احدا من الوصول الى غرفة الملك .

واخيرا ذهبت الملكة الى القاعة الكبرى حيث كان بانتظارها فيها الرجال الثلاثة الذين انقذهم بارداليان من الباستيل ، وقالت لهم :

ـ لقد اخترتكم لقتل الرجل الذي اراد قتلكم ، فاعلموا اذا ان الدوق سيحضر للقصر ، وسيمر بالقاعة وهي مخفورة ، وبالردهة وهي مخفورة ، وبغرفة الملك وهي كذلك ، فلا بد اذن ان يصل اليكم اخيرا ، فلا تدعوه يخرج من هنا حيا .

وما كادت الملكة تغادرهم الى غرفتها ، حتى نقلوا الطاولة التي كانت في وسط القاعة الى زاوية فيها ، ووضعوا الكراسي بقربها ، حتى لا يتعثر احدهم بها وهو يقاتل الدوق .

وقال احدهم اخيرا :

ــ لقد نسينا باب السلم المؤدي الى الطابق الاعلى ، والطابق الاسفل من القصر .

فقال له الثاني :

ــ اذهب واقفله .

فذهب كالابر لاقفال الباب ، ولكنه قبل ان يصل اليه دخل منه رجل وقال لهم :

ــ سلام عليكم ايها السادة ، كيف حالكم بعد خروجكم من الباستيل؟

وذهل الثلاثة وصاحوا بصوت :

ــ بارداليان .

سأله احدهم ان يذهب .. لان الموقف خطير ، ولا يستطيعون استقباله في هذه اللحظة .

فقال بارداليان :

ــ بل تشجعوا ايها الاصدقاء فان الدوق لا يزال بعيدا .

واسقط في يد الاصدقاء الثلاثة حين ادركوا انه يعرف ما هم في سبيله .. ووضعوا ايديهم على خناجرهم ، فقال لهم بارداليان باسما :

ــ اعيدوا خناجركم الى اماكنها ، فاني قد استطيع قتلكم فلا تتمكنون والحالة هذه من قتل الدوق .. واذا لم اتمكن من قتلكم تمكنت من الوصول الى النافذة وانذار رجال الدوق بالخطر ، فيفشل مشروعكم .. ثم ان صديقي الراهب الذي كلفكم الملك بقتله ولم تقتلوه ، مستعد لانذار

الدوق اذا تأخرت عن الاشارة اليه •• فليهدأ روعكم والحالة هذه •

واصفرت وجوه الفرسان الثلاثة •• لقد اقسموا للملك والملكة انهم قتلوا الراهب جاك كليمانت ، فاذا علم الملك بكذبهم فان مصيرهم الاعدام بالتأكيد •

قال كالابر بعد ان تمالك روعه :

ــ ما الذي تريده ؟

ــ انكم كما تعلمون لا تزالون مدينين لي بحياة رجل واحد وقد جئت اسألكم وفاء هذا الدين •• ولهذا اريد منكم حياة الدوق دي كيز •

وكانت ساعة هائلة اخذ الثلاثة فيها يعضون ايديهم من شدة اليأس •

وقال كالابر لرفيقه :

ــ اذا قتلنا الدوق بعد ان طلب بارداليان منا ان لا نفعل خسرنا شرفنا، واذا لم نقتله قتلنا الملك ، فاغمد خنجرك في صدري فهذا خير لنا من هذه الحيـاة •

فقال بارداليان :

ــ لنتفق اذن على تسوية لهذه القضية •

برقت عيون الثلاثة املا ، وقالوا :

ــ تكلـم •

ــ هبوني حياة الدوق لعشرة دقائق فقط ، لاني اريد ان اقول لهـذا الرجل كلمة قبل ان تقتلوه •• ثم اتركه لكم •• ان الدوق سيدخل الـى هذه الغرفة اليس كذلك ؟

فاجابوا بالايجاب •

ــ واذا دخل لم يعد يستطيع الخروج •

فقال احدهم :

ـ انه يستطيع الخروج من السلم •

ـ اذهبوا لحراسة السلم •• واتركوه لي لمدة عشرة دقائق فقط •

وسمعـــوا في هذه اللحظة وقع حوافر الجياد ، وصليـــل السيوف ، فادركوا ان الدوق قد وصل •

فقال احدهم لبارداليان :

ـ اتقول عشر دقائق •

ـ نعم •• وهي قد تنقص ولكنها لن تزيد •

فلم يسع الثلاثة الا الامتثال وغادروا القاعة الى باب السلم لحراسته•

وبعد قليل دخل الدوق الى الغرفة ، فلم يشاهد بارداليان الا بعد ان اصبح في داخلها واقفل الباب خلفه •• فظن الدوق عند دخوله ان الملـــك غير موجود في الغرفة ، وشاهد بارداليان ، يبتسم في وجهه ، فاصفر مـــن الخوف وحاول العودة من حيث اتى ، فاذا الباب مقفل ، فادرك انه اسير •• فالتفت لبارداليان وقال :

ـ من انت •• وماذا تفعل هنا ؟

ـ انا الذي صفعك منذ ستة عشر عاما في قصر الاميرال كوليني •• وانا الذي لقبك بالمصفوع في ساحة الاعتصاب منذ ثمانية اشهر ، وانـــا الذي سلمت نفسي اليك في فندق دفينير لانقاذ امرأة منكودة فدعوتنـــي جبانا ، فقلت لك •• سوف ارد هذه الكلمة الى صدرك برأس السيف •• هنري دي كيز •• تسألني ماذا اريد ، فاقول لك •• اني اريد دمك لاغسل هذه الاهانة •



صاح الدوق يقول :

ــ هلموا ايها الجنود •• واقبضوا على هذا المجنون •

وحاول ان يفتح الباب فسمع اصواتا من الخارج تقول :

ــ تشجعوا •• واقتلوه •

فامتقع وجهه وادرك انه سقط في كمين •

وقال بارداليان :

ــ لم يبق امامك الا ان تقتلني ، ثم تقتل ثلاثة آخرين بانتظارك لتخرج من هذا المكان حيا •

امتشق الدوق حسامه عندئذ ، وهجم على بارداليان •

ونشب بين الرجلين قتال هائل ، وبعد قليل افلت سيف الدوق من يده، وهوى صريعا الى الارض ، بعد ان اخترق حسام خصمه صدره ، ونفذ الى ظهره •

واعاد بارداليان سيفه الى غمده وهو يقول :

ــ لقد غيرّت بسيفي هذا تاريخ فرنسا •

ثم مضى الى الثلاثة الواقفين خلف الباب المؤدي الى السلم وقال لهم:

ــ لم تنقض الدقائق العشر •• ومع هذا فقد تخليت لكم عن الدوق فعودوا اليه •

وتركهم وصعد السلم الى غرفته عند الفلكي •• واسرع الثلاثة الى القاعة فذهلوا حين شاهدوا الدوق ميتا •• اذ لم يكن يخطر ببالهم ان يتمكن منه بارداليان بهذه السرعة •

ورفع الدوق عينيه في هذه اللحظة •• وادرك الثلاثة عندئذ انه لم يزل فيه رمق من الحياة ، فاسرعوا يجهزون عليه •

ثم فتح الباب ودخل من كانوا في الخارج واشتركوا في ضربه بخناجرهم وسيوفهم •

وغادر الملك غرفته الى القاعة ، ثم وضع رجله على رأس الدوق وقال :
ــ لقد اصبحت وحدي الان ملك فرنسا •• وكان الدوق قد وضع قدمه منذ سنوات مضت على رأس الاميرال كوليني •• بعد ان قتل غدراء

وكان لخبر مقتل الدوق دوي عظيم بين اصحابه ، فاخذوا يهربون لا يلوون على شيء •• وارسل الملك بعض جنوده للقبض على اخوي الدوق، وكبار انصاره •

ولقد ذهب بارداليان بعد ان قضى على دي كيز الى غرفته ، حيث كان قد تمكن من مورفر جاره في الغرفة المجاورة واوثقه ، وكم فمه حتى لا يستطيع صراخا •

وبعد ان نزع الكمامة عن فمه والقيود من يديه ورجليه ، امره ان يتقدمه ، لانهما سيغادران القصر ، وانذره ان حاول الهرب بالموت حالا •

ولما وصلا الى الباب الكبير •• تصدى لهما الجنود ، ولكن كيرلون كان هناك ، فقال له بارداليان :

ــ نريد مغادرة القصر يا مسيو دي كيرلون •

فنظر اليه رئيس حرس الملك نظرة اعجاب واكبار ، وقد علم انه هو الذي قتل دي كيز في قتال شريف بالسيف ، فرفع قبعته احتراما ، وامر الجنود ان يحيوه التحية العسكرية •

وبعد ان اصبحا خارج القصر ، انضم اليهما جاك كليمانت حيث خرجوا جميعا من باب المدينة •

وبعد ان ساروا مدة من الوقت ، وقفوا امام كوخ مهجور ادخل بارداليان مورفر اليه ، وبعد ان اوثقه وقيده ، طلب من جاك حراسته ريثما يعود اليه •

– ٤ –

نهاية مورفر

كانت (فوستا) قد استعدت للانقلاب الجديد ، فارسلت رسالة منذ صباح اليوم الذي قتل فيه الدوق دي كيز الى الكسندر فرنيز تستعجله بالاسراع الى باريس ، لانها كانت تعتقد ان رسالتها الاولى قد وصلت اليه ، وانه قد دخل الاراضي الفرنسية ، ولو علمت ان بارداليان قد تمكن من هذه الرسالة ، لبدلت موقفها .. ولفكرت كثيرا .

وكانت قد قررت ان تعود الى باريس بعد مقتل الملك ، لتحتفل بزواجها على الدوق في كنيسة نوتردام ، وتضع تاج فرنسا على رأسها .

وفجأة سمعت اصواتا في الشارع ، ثم وقع حوافر الجياد وهي تجري بفرسانها لا تلوي على شيء .

دب الرعب الى قلبها ، وارادت ان تسأل احد خدمها ، ولكن الكلام احتبس في لسانها ، فقد خشيت ان تعلم بانهيار احلامها ، وفشل محاولة قتل الملك .

واقبل اليها احد خدمها يقول :

ــ ان بالباب رجلا من النبلاء يريد مقابلتها •• وانه رفض ان يــذكر اسمــه •

واقبل الرجل ، فجمدت فوستا في مكانها ، وقد تولاها رعب شديد •

ذلك ان هذا الرجل لم يكن غير باردليان •• وهي التي كانت تحسبه في عداد الاموات •

رفع باردليان قبعته وتقدم اليها يقول :

ــ اتشرف يا سيدتي باخبارك اني قتلت الدوق دي كيز •• ولقــد انذرتك سابقا اني لن اسمح له بالوصول الى العرش ، كما اخبرتــك اني سأقف ابدا في وجه مطامعك واحلامك •

صاحت تقول :

ــ باردليان •• باردليان ••

ولم يكن باستطاعتها ان تقول غير هذه الكلمة •

وقال باردليان :

ــ انا هــو بلحمه ودمه •• لقــد تكلفت كثيرا من السبل الدنيئــة للوصول الى اغراضك ، حتى لقد امرت بقتــل فتاة بريئة في الدير كمــا تعلمين •• ولهذا رأيت ان لا بد من سحقك بعد ان كنت قد انقذتــك من الموت •

وكانت فوستا قد تمالكت نفسها في هذه الساعة ، فمضت تشتمــه وتتهمه بالسفك والجبن ، وامسكت سكينا بيدها وهجمت عليه ، فضحك وقــال :

ــ اضربي اذا كنت تجسرين •

وارتجفت يدها ، والقت الخنجر من يدها ، وارتمت على مقعد قريب وهي تبكي •

فتقدم منها بارداليان وقال :

ـ لقد جئت لانقاذك . فقد سمعت وانا في القصر ، وحين كان الجنود يقضون على رجال دي كيز واعوانه ، سمعت الكردينال دي كيز يقول : « ان الخيانة هي من فوستا » . ولا بد ان يأتي رجال الملك للقبض عليك فاهربي .

واشتد الوجد بفوستا .. لقد كانت تحب بارداليان حبا ملك عليها كل عواطفها ، وهي انما ارادت قتله لتقضي على هذا الحب .. ولو بادلها حبا بحب ، لتخلت عن العرش والسلطان واستسلمت له .. ورضيت بـه .. ولكنه رفض فكان ما كان .

وتحركت من مكانها .. وسمعت في هذه اللحظة قرعا على الباب .. وصوت رئيس حراس الملك يقول لرجاله :

ـ ليفتش هذا المنزل وليقبض على كل من فيه رجالا ونساء ..

وقالت فوستا وقد امسكت بساعد بارداليان .

ـ اني اريد الحياة .

ـ لا تخافي ، فلن يقترب منك احد وانا معك .. ايوجد جيـاد في المنزل ؟

ـ نعم يوجد اربعة جياد .

ـ اذا هلمي بنا والتصقي بي ولا تفارقيني .

وتقدم بارداليان الى السلم يدفع حراس الملك واحدا بعـد الاخر ، ويلقي عليهم بالكراسي والتحف ، فمن وقف في سبيله قتله او جرحـه ، ومن تركه وشأنه امن العاقبة .. حتى وصل هو وفوستا الى الاسطبـل وركبا جوادين وانطلقا في طريق باريس .

ولما علم كريلـون بما حصل ، وعرف ان بارداليان هو الـذي هاجم حراس الملك وهزمهم ، ضحك وقال :

ـ لقد كنت اتوقع ان يكون هو الفاعل ، بعد ان علمت بتفـاصيل الحادثة •

وسمع القصة منفيل وبيسي لكلرك وكانا بين الاسرى فعرضا عـلى كريلون ان يتبعا بارداليان ويقتلانه لحقدهما عليه ، ثم يعودان الى السجن•

فقال لهما كريلون •• بعد ان وافق رئيس حراس الملك على طلبهما :

ـ اذهبا •• وحاولا ان تفوزا عليه •

ثم التفت الى رئيس الحراس يقول له :

ـ لا بد انه اساء اليك لتوافق على طلبهما ؟

ـ انه كسر ساقي •• ولكن هذين الرجلين سينتقمان لي منه •

فقال كريلـون :

ـ اتريد ان تعرف مصيرهما ؟

ـ نعـم •

ـ انهما لن يعودا •

ـ لقد اقسما لي بشرفهما على العودة •

ـ لست اقـول انهما سيحنثـان بقسمهما •• ولكنهما اذا التقيـا بارداليان فلن يعودا لانه سيقتلهما •• واما اذا لم يلتقيا به فسيعـودان بالتأكيـد •

فقال رئيس الحراس :

ـ يبدو ان هذا الرجل خطر كبير •

ـ لقد رأيت من امره معك ومع جنودك ما لا تحتاج معه الى المزيـد مني •• ولكن ما الذي تريد ان تفعله به اذا قبضت عليه ؟

ـ سوف اشنقه على قارعة الطريق •

ـ اتحسب ان شنق امير الجيش سهل عليك ؟

فدهش رئيس الحراس وقال :
ـ وهل بارداليان امير الجيش ؟
ـ نعم .. انت تبحث عنه لتشنقه ، والملك يبحث عنه ليعينه في هـذا المنصب .. لانه انقذ الملك من الموت ، وقتل الدوق دي كيز .
واغمي عـلى (لارشان) رئيس الحرس مـن هـول الخبر .. فأمر كريلون بنقله الى القصر .

★★★

عرضت فوستا على بارداليان ان تتزوجه ، بعد الفشل الذي منيت في اثناء الطريق ، وقالت معتذرة عما اقدمت عليه سابقا ، من انها فعلت مـا فعلت في سبيل المجد والسلطان ..

ولكن بارداليـان جمد في مكانه عند سماعه كلامهـا . وادركت من جموده انه ليس من الموافقين على ما اقترحته ، فاستبد بها الغضب، ولكزت جوادها لكزة قوية لتقطع الغدير ، فتعثر وسقطت بين الامواج ، فـأسرع بارداليان لانقاذها ، فلما فتحت عينيها بعد ذلك ، صاحت به :
ـ لماذا انقذتني ولم تدعني اموت ؟
فقال لها بارداليان برفق :
ـ تعالي استندي على ذراعي ، وهيا بنا الى هذا الكوخ القريب لتجف ثيابك ، وتستأنفي سفرك .
وسارت فوستا معه وهي تبكي ، وقد تأثر الفارس لبكائها ، وغفر لها ذنوبها الماضية بحقه وبحق الاخرين .
ولما وصلا الى الكوخ اعطى صاحبته دينارا لتوقد النار .

وبعد ساعة من الزمن ، جفت ثياب الاثنين ، فقال لها بارداليان :
ــ عليك ان تسرعي بالسفر ، فان الجنود يطاردونك •
قــالت :
ــ سأذهب الى فلورانسا ، فان لي قصرا ورثته من اسرة بورجيــا ، فهل تذهب معي ؟
فاعتذر بان هناك امورا عليه قضاؤها في فرنسا ، قبل ان يفكر فــي مغادرتهــا •
قــالت :
ــ اذاً سأنتظرك في قصري بفلورانسا ، بعد ان تنتهي من اعمالك هنا •
قــال :
ــ حسنا •• ولكن الطريق بعيدة الا تخافين ؟
فهزت رأسها بالنفي ، وسألته ان يعمل لانقاذ خادمتين لها قبض عليهما الجنود في (بلوا) ، فوعدها ان يفعل •
سألها اذا كانت بحاجة الى المال فقالت :
ــ لا •• لدي مال كثير في اورليان وليون ودافينيون ، فــلا احتاج لشيء •
وغادرته •• ووقف بارداليان يودعها بانظاره حين شعر ان يدا لمست كتفه ، فالتفت ، فاذا به امام بيسي لكلرك ومنفيل •
لقد اخذت الحوادث على الاثر تجري بسرعة مذهلة •
طلب الرجلان من بارداليان ان يتبعهمــا الى (بلوا) ، لان الجنــود يطاردونه ، ولانهما مكلفان بالقبض عليه •
وهنأهما بارداليان وهو ضاحك من تلونهما ، تارة يكونان مع الدوق، وتارة مع الملك •• تارة يعملان جاسوسين ، واخرى يقومــان باعمــال الشرطة •

وعض الرجلان على شفتيهما ، وقال له بيسي لكلرك :
ــ اتبعنا راضيا •• لانك لن تفلت منا هذه المرة •
فقال بارداليان :
ــ اني مستعد للذهاب معكما ولكن ليس الى (بلوا) وانما الى مكان في ضواحيها حيث تقوم هناك طاحونة ، تشبه الطاحونة التي علقتكما عليها •
فاصفر عندئذ وجه منفيل . ورقص شاربا بيسي ، وامتشقا حساميهما وهجما على بارداليان •
وبعد لحظات طار الحسام من يد بيسي •• فذهب يلتقطه ، فلما عاد الى بارداليان وجد منفيل قد سقط ميتا الى الارض ، بضربة من سيف الفارس البطل •
اراد (بيسي) الثأر لصديقه ، ولكن بارداليان اطار له حسامه مرة ثانية •• وهو يقول له :
ــ اذهب فالتقط حسامك •
ولكن (بيسي) لم يذهب هذه المرة خلف حسامه . وركع على الارض وهو يبكي •• فتقدم منه بارداليان يهدىء روعه ، ويقول له :
ــ اني لم اقاتلك مقاتلة العدو ، وانما كنت ابدا ادافع عن نفسي، واذا كنت اكثر منك خبرة بفنون السيف ، فليس الذنب ذنبي •
فقال بيسي بصوت خنقته العبرات :
ــ لقد سقط شرفي ، وتلوث اسمي •
فقال بارداليان :
ــ ان الرجل الذي شاهد فشلك الجديد قد مات ، وانا على استعداد لمبارزتك ، ولكنك لن تفوز عليّ لاني اعرف سبع طرق لنزع سيفك من يدك ، فان اردت علمتك اياها •• فقد تنتصر عليّ في المستقبل •
فسر (بيسي) من هذا الاقتراح ، وقال لبارداليان :

ـ انت رجل شريف .. ويسوئني ان كنت من اعدائك ، فهل تصافح اليد التي امدها اليك الآن ؟

وصافحه بارداليان وهو يقول :

ـ انت رجل باسل .

ولما غادر بارداليان المكان ، كان همه البحث عن مورفر .. بعد ان تم له القضاء على اكثر اعدائه .

وكان بارداليان كما قدمنا قد قيّد مورفر ، وعهد بحراسته الى جاك كليمانت في كوخ قريب ، فلما وصل اليه ، عرف ان مورفر قد تمكن من الفرار ، في غفلة من حارسه ، فسأل جاك عن الطريق التي سار عليها مورفر، فقال لـه :

ـ طريق بورجنس .

ولما تهيأ بارداليان لمطاردة مورفر ، سأله (جاك) اذا كان يسمح لـه الان بحريته ، ويتركه يفعل ما يشاء .

ففكر بارداليان ثم قال له :

ـ ذلك شأنك .. فامض في سبيلك .

وفي الطريق لقي فلاحا يسوق مركبة ، فسأله اذا كان شاهد فارسا يعدو بجواده في هذه الجهة .

فاجابه : انه شاهد فارسا يتوجه في طريق تورس .

ولما وصفه له ادرك انه مورفر ، فمضى يلحق به ، حتى وصل الى فندق حقير ، فقرر ان يأخذ فيه بعض الراحة لنفسه وجواده .

سأل صاحب الفندق عن (مورفر) ووصفه له ، فانكر الرجل ان يكون قد مر بفندقه احد بهذه الصفة .

فخشي بارداليان ان يكون (مورفر) قد افلت من قبضته ، وسأل صاحب الفندق ان يأتيه بطعام وان يعتني بجواده .

ومضى يراقب صاحب الفندق وهو يأكل ، فرابه امره ، كما رابه امر خادميه ، فايقن انه بين لصوص وان عليه ان يحذر •

وبعد ان انتهى من طعامه ، اخذ يفكر ، ثم احس بالنعاس يـدب الى اجفانه ، وفيما هو يحاول ان يطرد النوم عنه ، حـذرا على نفسه ، رأى صاحب الفندق وخادميه من مرآة امامه يتقدمان من خلفه •• وقـد شهر الجميع خناجرهم ، وسمع احدهم يقول لرفيقه همسا :

ـ لقد حانت الفرصة •• فانه نائم •

انتظر حتى اصبحوا جميعا على مقربة منه ، فوثب من مكانه ، وضرب الخادمين بكلتا يديه ، فسقطا ارضا ، ثم التفت الى صاحب الفندق الذي جمد في مكانه ، من هول المفاجأة ، وقال له :

ـ هيا تقدم •

وادرك صاحب الفندق انه ميت ، بعد ان شاهد قوته الهائلة فركـع وهو يقول :

ـ رحماك يا سيدي واعف عني احدثك بكل شيء •

ـ تكلـم •

ـ لقد سألنا احد النبلاء ان نقتلك ، ودفع لنا اجرا على قتلك ، وهو الرجل الذي سألتني عنه عند وصولك ، وانكرت رؤيته •

ـ ومتى برح الفندق ؟

ـ منذ خمس ساعات •• وبعد ان وصف لي صورتك ، طلب منـا قتلك ، ولكني اشعر الآن انه من اهل الشر ولولا ذلك لوقفت في وجهك ، ولما كلف غيره بمواجهتك ، وقد سافر في طريق بورجنس ، وان ادعي انه سافر في طريق (تورس) •

مضى بارداليان ليله في الفندق ، وفي الصباح غادره لمطاردة (مورفر) حتى وصل الى (بورجنس) وبلغ الضفة ، وشاهد القارب الـذي ينقل

المسافرين عبر النهر ، فصعد اليه بجواده ، ومضى به النوتي ، حتى بلـغ منتصف النهر ، فهز القارب بالمجذاف هزة عنيفة ، فانقلب جواد بارداليان وسقط في النهر •

وتمكن بارداليان بعد ان اخرج قدميه من ركاب الجواد ان يصعد الى سطح الماء ، فشاهد النوتي يسرع الى الضفة ، دون ان يكترث بـه ، او يحاول انقاذه ، كما سمع صوت رصاصتين تقعان بالقرب منه ، فايقن انـه القاه في النهر خصيصا ، وانه من اعوان مورفر •

ولما بلغ الضفة ، سار الى احد الفنادق حيث جفف ثيابه ، وتناول بعض الطعام والشراب •• ثم عاد الى الضفة فوجد النوتي ، فسأله ان ينقله الى الضفة الثانية وحذره ان يسقطه مرة ثانية في النهر •• لاني عندئذ لن ادفع لك اجرك ، وساغرمك ثمن جوادي •

فاطمأن النوتي الى انه لا يشك به ، واعتذر بأن الجواد اجفل فاهتز القارب وكان ما كان •

ثم قال لـه :

ـ ارجـو ان يكون سيدي قـد عرف الشقيين اللذين اطلقا عليـه الرصاص ؟

ـ وكيف عرفت انهما اثنين ؟

ـ لقد شاهدتهما بعيني •

فقال بارداليان :

ـ واما انا فلم ارهما ، وقد افلتا من يدي •• واما انت فلن تفلت ابداء

وقبض على عنق النوتي ، واغرق رأسه في الماء وهو يقول :

ـ اعترف بانك حاولت اغراقي او تموت •

وكاد النوتي يجن من الخوف ، واعترف لبارداليان اخيرا بان (مورفر) هو الذي كلفه بذلك مدعيا انه اي (بارداليان) من الهيكونوت •

ولما سأله اين ذهب مورفر ، اجاب •

ـ انه في بورجنسي ، وقد اقام في فندق الاسد الذهبي ، ولم يذهب الى اورليان •

فقال بارداليان :

ـ عد بي الى الضفة حالا •

ولما وصل بارداليان الى الفندق قال لصاحبته :

ـ اني قادم يا سيدتي من (بلوا) حيث قتل الدوق دي كيز •

فالتف حوله الناس يسألونه عن الاخبار ، فقال لهم :

ـ اني اطارد احد قتلته •

واعطاهم صفة (مورفر) •

فقالت صاحبة الفندق وهي تدق يدا بيد :

ـ لقد كان الشقي هنا منذ ربع ساعة فقط ، والان عرفت السبب في اسراعه بالهرب •

فقال بارداليان :

ـ وكيف كان ذلك ؟

ـ لقد وصل اثنان من شركائه وتحدثا اليه همسا ، فهب مذعورا وغادر الفندق •

فادرك بارداليان ان الرجلين هما اللذين اطلقا عليه النار واخطآه •• واعطى صاحبة الفندق بعض المال للحصول على جواد ليتبعه •

فقالت :

ـ بل تحصل عليه بدون مال •

ـ اتعلمين اية طريق سلك ؟

ـ طريق شاتورين •



اسرع بارداليان في طريق شاتورين ، حتى بلغ غابة (مارتنوار) التي كان واثقا ان (مورفر) لا بد ان يمر بها •

وبعد قليل سمع صهيل جواد في الغابة ، ثم شاهد فارسا يتقدمه •

فابتسم ابتسامة هائلة لان هذا الفارس لم يكن غير مورفر •

وكان (مورفر) قد انخلع قلبه خوفا ورعبا حين ادرك ان بارداليـان يطارده ، وانه سوف يصل اليه ، بعد ان فشلت كل محاولاته لقتله •

وفي هذه اللحظة عثر جواد (مورفر) بصخر فكبا ، وقفز مورفر منه دون ان يصاب بأذى •

ولما التفت حوله شاهد (بارداليان) لا يبعد عنه اكثر من ثلاثين خطوة •• وقد اخذ يترجل عن جواده •

تمالك نفسه واخرج غدارته ، واطلق النار •

ولكنه اخطأ الهدف لان يده كانت ترتجف •

ثم اخذ يتراجع وهو ينظر الى بارداليان حتى التصق بشجرة كبيرة ، فجمد في مكانه ، وبارداليان ينظر اليه لا يرفع عينه عنه •

سأله بارداليان لما اصبح قدامه :

ـ لماذا غدرت بي بعد ان عفوت عنك فوق هضاب مونمارتر ؟

واحتبس الكلام على لسان (مورفر) فلم يقل شيئا •

ومضى بارداليان يسأله :

ـ ولماذا قتلت لويزا وهي لم تسيء اليك ابدا •• ولماذا رحت تستأجر الناس لقتلي •••؟•• والان حدثني كيف تريد ان تموت ؟

ولم يجبه مورفر •

ولم يفطن بارداليان الى ان خصمه قد ثقل تنفسه وتهالـك جسمه ، كأنما هو في حالة النزاع •

ودنا منه بارداليان ووضع يده على كتفه وهو يقول :

ـ لقد خيرتك بالميتة التي تريدها فلم تجبني •

فتح مورفر فمه واطبق عينيه •• وبقي مستندا الى الشجرة وقد التوى ساقاه ، ولو رفع بارداليان عنه يده لهوى ارضا •

ولكن بارداليان لم يفطن الى الخوف العظيم الذي ملأ قلب مورفر •

وراح بارداليان يقول :

ـ لقد عفوت عنك يا قاتل لويزا •• لانك لا تستحق الموت •

ورفع بارداليان يده عن كتفه ، وهوى مورفر الى الارض • فـذهل بادراليان ، وحنى رأسه يفحصه ، فاذا به قد مات •• من الخوف •

— ٥ —

مقتل ملك فرنسا

عاد بارداليان بعد موت (مورفر) الى (بلوا) فوصلها في اليوم التالي، فشاهد كريلون قائد حراس الملك يطارد قوما من انصار دي كيز، فساعده عليهم فلما اقبل يشكره قال بارداليان له :

ـ لست اريد شكرا ، وانما اريد خدمة متواضعة ، وهي ان جماعة من الحرس قبضوا على خادمتين لفوستا ، لا علاقة لهما باعمالها ومكايدها فهلا اطلقت سراحهما .

فوعده كريلون ان يفعل وان يخرج بهما الى ظاهر المدينة .
فشكره بارداليان وقال له :

ـ قل لهما ان ينتظراها في اورليان، وهما يفهمان ما يجب عليهما عمله.
فقال له كريلون :
ـ سأفعل .. وبهذه المناسبة عليك ان تحذر من (لارشان) فهو غاضب ناقم عليك .

ـ وما الذي يستطيع عمله ضدي ، اريد ان اكسر له رجله الثانية ؟

فضحك كريلون وقال :

ـ انه لا يجسر على عمل شيء ضدك ما دام الملك يحميك •• تعال معي اقدمك الى جلالته •

ولكن بارداليان رفض هذا العرض ، وقال له : اذا سألك الملك عني فقل له انك لم ترني •

فعجب كريلون ، كيف يهرب بارداليان من لقاء الملك •• والملك يبحث عنه ليغدق عليه نعمه ، فيما يبذل الكثيرون ما يملكون للوصول الى جلالته ، والوقوف على ابوابه •

وعلم بارداليان وهو في (بلوا) ان الدوقة دي مونتبانسيه شقيقة الدوق دي كيز والتي حاولت اكثر من مرة اغراء جاك كليمانت على قتله ، والتمويه عليه بانها تحبه ، قد تمكنت من النجاة بجلدها والفرار من (بلوا) •• وان رجال الملك لم يظفروا بغير الكردينال شقيق الدوق الذي صار قتله •

وكان بارداليان يحاول العودة الى باريس بعد ان سافر الملك الى (امبواز) •• وعين كريلون حاكما على (بلوا) •• ولكن كريلون كان يكره بارداليان على البقاء معه ، حتى جاءت الاخبار بأن (مايان) قد جمع جيشا كبيرا انضم اليه الناقمون من الشعب ، وانه يحاول الزحف الى باريس على رأسهم •

والتقى بارداليان بجاك كليمانت في احد شوارع (بلوا) وهو في ملابس الرهبان ، فسأله هذا ان يساعده للوصول الى القصر والدخول اليه ، فاجابه بارداليان وقال له :

ـ ليس من عادتي ان اساعد احدا على قتل آخر ولو هاجمك عشرة

ملوك لدفعتهم عنك وقتلتهم ، واما الكيد للملوك والتآمر فهذا ليس من شأني •

واقبل كريلون في هذه الاثناء فلما شاهد بارداليان مع الراهب سأله :

ـ اتعرف هذا الراهب ؟

ـ نعم •

ـ هذا يكفي •

ثم التفت الى (جاك كليمانت) وقال :

ـ ان كاهن القصر غائب عنه •• وقد طلبت ام الملك كاهنا تعترف له فاتبعني •• فان الله قد ارسلك في هذه اللحظة •

وقبض جاك على ساعد بارداليان وقال له :

ـ اسمعت •• لقد ارسلني الله اليه •

فنظر بارداليان الى السماء وقال :

ـ لا حيلة بمغالبة القدر •

لقد كان (جاك) يريد الوصول الى الملك •• ولكنه رضي بالذهاب الى الملكة لان هذا يساعده على الدخول الى القصر في المستقبل ، وقد سرت (كاترين) وكانت مريضة حين عرفت انه غريب ، فقد ارضاها ان تعترف باثامها لكاهن غريب ، بدلا من كاهن القصر •

سألته عن الملك ولدها •• فقال :

ـ انه في (امبواز) •• يا سيدتي •

فدمعت عيناها وقالت :

ـ سأموت دون ان اراه واسفاه •

واخذت تعترف للراهب بانها قتلت عشرين شخصا لخير المملكة •

فقال جاك :

ـ ليست هذه الذنوب خطيرة فامضي في حديثك .
فتهلل وجه الملكة وقالت :

ـ واعترف ايضا ان مونغوميري قتل زوجي هنري الثاني .. ولم يكن هذا القتل من قبيل الصدفة كما توهم الناس .
فقال جاك :
ـ ولكن زوجك اساء اليك كثيرا .

فسرت كاترين ، واعترفت ايضا بانها قتلت ملكة النافار بواسطة القفاز المسموم الذي ارسلته لها .

واعترفت ايضا بان ولدها شارل التاسع كان من الممكن ان يطول عمره ، لو لم تكن راغبة في جلوس ابنها الدوق دانجو مكانه .

كما اعترفت بانها قتلت كوليني .. وانها هي التي امرت بقتله .. كما قتلت عدة الاف من اتباعه ، ولكنها فعلت هذا كله لخير الكنيسة .

ولما انتهت من اعترافاتها هذه ومن اعترافات اخرى مماثلة ولكنها اقل خطرا وهولا ، طلبت من الكاهن ان يحلها من ذنوبها .. حتى لا تموت ملعونة مغضوبا عليها من الله .

فقال جاك وقد انتصب واقفا :
ـ اذاً موتي ملعونة مغضوبا عليك من الله والناس .

« لقد نسيت ان تعترفي بقتلك اليس دي ليكس .. التي هي امي .. اني لن اطلب من الله ان يغفر لك خطاياك .. بل ازجك بيدي في جهنم .. ولتعلمي قبل ان تموتي .. انا الذي سيقتل ابنك هنري الثالث » .

فصاحت الملكة صيحة منكرة حين سمعت هذا الكلام ، واهتز جسمها

اهتزازا عنيفا ثم اسلمت الروح •

وفي اليوم التالي عاد الملك الى (بلوا) •• فلما علم بموت امه امر بدفنها دون ان يحزن على موتها •

ولما غادر (جاك كليمانت) القصر التقى بارداليان ، فعرف منه ان الملك سيعود الى باريس لصد جيش الدوق دي مايان ، فقرر الذهاب بدوره الى باريس ، وخلع ملابس الرهبنة ولبس ملابس الفرسان •

وغادر بارداليان (بلوا) ايضا الى ايطاليا بعد ان رفض عرض (كريلون) بتولي قيادة فرقة من فرق الملك ، وعرج في طريقه على اورليان حيث زار صديقه الدوق دانجلوم وامرأته البنفسجية وامه ماري توشيت، فلقى من احتفاء الاسرة به ما اسال دمعه وابكاه •

وقد ضحك كثيرا حين شاهد كرواس وبيكوسي يلبسان الثياب المزركشة يقومان بخدمة الاسرة ، وقد نسيا فاقتهما القديمة ، وجوعهما السالف •

واقام بارداليان عند الدوق يوما وليلة ، وقد بكوا لما انبأهم بعزمه على السفر ، واخذوا منه عهدا ان يعود اليهم •

ولما وصل الى احد الفنادق في الطريق ، واخذ يخلع ملابسه احس بثقل فيها ، فبحث •• فوجد خمسمائة دينار قد وضعت في اكياس صغيرة من الحرير ، ووزعت هنا وهناك ، ووجد معها كتابا من (ماوي توشيت) تقول فيه •• انها هي التي وضعت هذا المال في جيبه ، لنفقات سفره ، على ان يردها اليها في المستقبل •

ولقد وصل بارداليان الى فلورنسا في اواخر شهر نيسان ، وذهب على التوالي الى القصر الذي اعطته اسمه (فوستا) •• فلما علم بواب القصر انه بارداليان اعطاه رسالة من فوستا، كان فيها هذه الكلمات الاربع:

(رومه ٠٠ القصر الضاحك ٠٠ فوستا)

ولما وصل الى رومه نزل في فندق يشرف عليه احد الفرنسيين فقضى ليلته فيه ، فلما اصبح الصباح سأل صاحبه عن القصر الضاحك فدله عليه، فتوجه اليه ، فاذا به يجد نفسه في قصر لم يشاهد مثله في حياته ٠

وقد ادخله الخادم الى ردهة عظيمة ازدانت بالرسوم البديعة ، فوقف ينظر الى ما حوله حائرا دهشا ، حتى وقف امام صورة امرأة من صنع الرسام الشهير روفائيل لم تقع عيناه على اروع منها واجمل ٠

واقبلت فوستا في هذه الاثناء ، فحنى رأسه مسلما ، فحنت رأسها ترد تحيته ، وقالت له :

ــ هذه صورة جدتي ليكريس بورجيا ، التي كانت احسن حظا مني، فسادت ايطاليا ، كما سادت على المسيحية بواسطة ابيها البابا اسكندر ٠

« وقد كان هذا القصر مقرها ، وكان الملوك والامراء يهرعون اليه لاسترضائها ٠٠ واما الان فلم يبق من المجد الغابر الا ما ترى ٠

« ولو اني كنت محمية بحسام رجل باسل لا يغلب ، لكنت اقيم في هذا القصر حاكمة اميرة لا مضطهدة تحاول الاختباء والاختفاء » ٠

فقال بارداليان :

ــ لقد حسبت حوادث الماضي علمتك الزهد في المغامرات وحب التسلط ٠

« وكنت اظن انك عقدت صلحا مع البابا ، وانتهي ما بينكما من الخلاف ٠٠ » ٠٠ فهزت فوستا رأسها وقالت :

ــ اسمع ايها الشفاليه ٠٠ حين برحت (بلوا) كنت احسب اني قطعت ما بيني وبين الماضي من صلات وعلاقات ٠٠ ولكني حين بلغت ايطاليا ادركت اني لا ازال حفيدة لكريس ٠

« وقد غلبت لانك وقفت في سبيلي ، لو كنت معي لنجحت ٠٠ واما البابا فقد تركته وشأنه ، ولكنه لم يتركني ٠٠ ولا يزال يطاردني لينتقم

منـــي •

« لقد برحت فلورانسا ولم انتظرك فيهــا ، لاني ادركت ان البــابا يطاردني » •

ــ ولكن كيف تهربين من فلورانسا الى رومه ، وهي عاصمته وفيهــا يقيم ؟

قــالت :

ــ لقد فعلت ذلك ذرا للرماد في العيــون ، لان احدا لن يعتقــد اني اهرب منه الى اقرب مكان اليه •• ولتعلم انه لا يزال لي انصار هنا ، فاذا انتصرت مرة واحدة ، عادوا الي ّ واجتمعوا حولي ، فبلغت بهم ما اريد •

« ثم ان لدي في هذه العاصمة جيشا مؤلفا من الفي رجــل ينتظرون امرا مني •

« ولي في قصر البابا نفسه بعض الجواسيس ، فاذا تمكنت منه بــات زمام السلطة في يدي •

« وانا اعتمد عليك يا بارداليان لمساعدتي •• فــاذا وافقت •• فلن يعوزني الرجال ولا المال » •

فقال بارداليان :

ــ كل شيء ممكن •

فبرقت عيناها فرحا •• وقالت :

ــ اني لا اريد ان توافق على مطالبي حالا •• فان هذا الامر يحتاج الى الدرس والتفكير •• فعد الي ّ بعد ايام ثلاثة ، فاما ان توافــق على مساعدتي ، او تعود الى فرنسا فنفترق الى الابد •• والان استودعــك الله ايها الشفاليه •

وعاد بارداليان الى الفندق وهو يقول :

ــ لقد اخطأت بزيارتها •• فان هذه النمرة لا تزال على عهدها الاول، وخير لي ان اعود من حيث اتيت •

وقد نقل اليها رأيه هذا في مساء اليوم الثالث حين زارها في قصرها •
استقبلت رفضه هادئة ساكنة ، ودنت منه تقول :

ـ احبك •• ايها القاسي الفؤاد وانت تجفوني •• وادنيك فتقصيني •

وامسكت به وامسك بها ، وهو ذاهل لا يدري ما يصنع ، وقد نسي نفسه ، وسكر بغرامه •

ولما افاق من هذا الحلم العجيب ، قالت له :

ـ لقد غلبتني انا العذراء •• ولهـذا قررت موتك ، فقـد اشعلت الخادمة النار في هذا القصر ، وهو يحترق الان •• وقد خرجت الخادمـة بعد ان اقفلت جميع ابوابه •

فتح بارداليان عينيه بعد قليل •

فلم يشاهد فوستا بقربه ، وسمع ضحكا مرعبا يتردد في اجواء القصر الكبير •• فعاد اليه صوابه في الحال ، حين اشتم رائحة الدخان ، وسمع صوت النار وهي تلتهم الاخشاب •

راح يبحث عن فوستا •• وقد ادرك ان القصر يحترق •

اخذ يناديها فلم تجبه •• ولكنه سمع ضحكتها من جديد ، وشاهدها فجأة بين الدخان فاسرع اليها وهو يقول :

ـ لا تقلقي وقفي •• سأنقذك وتحيين •

وسمعها تقول من خلال الدخان •

ـ نعم يا بارداليان •• اني سأحيا •• واما انت فستموت •

كانت تتكلم وهي تتراجع فيضعف صوتها حتى اختفت عن انظاره •

واحس بارداليان انه مائت لا محالة •• بعد ان شاهد النار قد ضربت نطاقا حوله •

اخذ يدور في القاعة كالمجانين لعله يعثر على منفذ فيها فلم يجد شيئا •
واستسلم للموت •

ولكنه ما ابث ان سمع دويا هائلا ، وشعر ان انفاسه قد عادت اليه ،

وان نسمه من الهواء المنعش قد تسللت اليه •• فادار عينيه حول القاعة ، فاذا سلم القاعة قد انقض من مكانه ، وظهرت من ورائه ردهة في الـدور الاسفل لم تصل اليها النار ، فاندفع اليها وقفز الى الردهة ، ومنهـا الى غرفة صغيرة فتح نافذتها ثم القى نفسه في الماء •

ولما بلغ الشاطىء بعد قليل ذهب الى الفندق حيث نام نوما عميقا فلما صحا عند الفجر سمع صاحب الفندق يتحدث عن حريق البارحة ، وانهـا شبت في قصر شهير يخص لكريس بورجيا ، لم يكن يقيم فيه غـير امرأة يقال انها كانت متمردة على الحبر الاعظم ، فالتهمتها النيران جزاء كفرها •

واصفر وجه بارداليان لما سمع هذا الخبر ، وحزن لموت فوستـا ثم قرر العودة الى فرنسا ، فدفع حسابه لصاحب الفندق ، وركب جـواده ومضى •

ولكن فوستا لم تمت في الحقيقة •

فان الخادمة التي وضعت النار في القصر ، وقفت تنتظر سيدتهـا في الخارج ، وقد شاهدت رجالا يرودون حول القصر فلم تبال بهم ، ولمـا انفتح الباب وظهرت فوستا انقض عليها هؤلاء الرجال وقبضوا عليها، وقال لها احدهم :

ـ اننا نراقب قصرك منذ ايام ، ونقبض عليك الان باسم الحبر الاعظم، فاتبعينا بسلام ولا تقاومي •

فالقت فوستا نظرة وداع على القصر وسارت مع الجنود •• الى حيث ينتظرها مصيرها •

★ ★ ★

ما لبث بارداليان ان نسي فوستا •• بعد الحوادث التي اخذت تتابع على مسامعه حين وصل الى حدود فرنسا •

فقد سمع مثلا ان الكردينال دي بوربون اعلن نفسه ملكا على فرنسا

باسم شارل العاشر ، وان الدوق دي مايان قد احتل باريس ، وان الملـك هنري الثالث في اشد حالات الاضطراب والقلق •• وان هنري دي نافار يقيم في (سومور) على رأس جيش كبير ، وان كثيرا من المدن الكبرى ثائرة ناقمة على الملك الشرعي هنري الثالث •

وادرك بارداليان ان اعوان دي كيز ورجاله هم الذين ايدوا الكردينال دي بوربون وعينوه على عرش فرنسا •

ولكن هذا العرش لم يكن تمتد حـدوده الى اكثر من باريس ، واما المدن الاخرى فكانت قلقة ثائرة لم يستقر رأيها على شيء ، سوى نقمتها على الملك الشرعي •

وقرر الذهاب الى (بلوا) لمساعدة الملك ، ما دام ليس هناك ما يعمله غير ذلك •

ولما وصل الى (بلوا) في ٢٩ تموز ، علم ان الملك يقيم بين (تـور) و (امبوز) وحوله جيش ضعيف ، فذهب الى معسكره والتقى بكريلون فسر هذا بقدومه ، وعرض عليه الدخول في خدمة الملك •

فقال بارداليان :

ـ الافضل ان اظل حرا •• لاني قد استطيع خدمة الملك بذلك اكثر من وجودي في خدمته •• وقد رأيت البـلاء ثائرة عليه ، ولن يستطيـع بجيشه الضعيف مقاومة جيش مايان •

فقال كريلون :

ـ ان ما تقوله صحيح •• ولو كنت مكان الملك لحالفت هنري دي نافار ، فجيشه قوي ، وباستطاعة الملكين سحق كل الثائرين •• والملـك يدرك الفوائد التي تعود عليه من التحالف مع هنري دي نافار ، ولكنـه يخشى ان يرفض هذا التحالف معه •• وقد فكرت بالذهاب الى هنري دي نافار واقناعه ، ولكني موظف عند الملك فاخشى ان يقال ان الملك ارسلني•

فعرض عليه بارداليان ان يذهب هو لقضاء هذه المهمة •

فسر كريلون ودعا بارداليان لمقابلة الملك ولكن هذا اعتذر ، وفضل ان يدعوه صديقه لتناول الطعام على مائدته •

وبعد ان اشبع الفارس بطنه ، توجه الى معسكر هنري دي نافـار ، بينما ذهب كريلون الى الملك وحدثه بما جرى بينه وبين بارداليان •• فسر سرورا عظيما •

ولما وصل بارداليان الى معسكر ملك النافار استقبله الملك استقبـالا عظيما ورحب به ترحيبا كبيرا حين علم انه الرجل الذي انقذ امه من الموت لما كانت في باريس ، كما تذكر اجتماعه به في قصر كوليني فعرض عليـه بارداليان رأيه في الموقف الحاضر ، وكيف ان ملك فرنسا لا يملك الان ، والدنيا ناقمة ثائرة عليه ، وانه اذا اتفق مع هذا الملك الضعيف وحالفـه ، انتصر على جيش الدوق دي مايان ، ولا بد ان ملك فرنسا سوف يعينـه على اثر هذا الصلح خليفته ، فاذا رضي ملك نافار عندئذ بالانضمام الـى الكثلكة قبلته كل فرنسا ودانت له الدنيا كلها •

وقال هنري دي نافار :

ــ ولكني لن افعل •• فمعاذا الله ان اترك دين ابائي •

فقال له بارداليان :

« ولكن باريس تساوي قداسا يا مولاي •• » ، فضحك الملك، وطلب من بارداليان ان يبقى في ضيافته اياما ريثما يرسل الى ملك فرنسا رسولا يبحث هذا التحالف معه •

وبعد ساعة من الزمن ذهب رسول (هنري دي نافار) الى ملك فرنسا يحمل شروطه للتحالف معه ، وعاد بعد يومين يعلن ان ملك فرنسا وافـق على شروطه ، وانه يعين مكان الاجتمـاع في قصر (بليسي) •• وعقـد الاجتماع وذهب بارداليان مع هنري دي نافار ، وبعد ثلاثة ايـام انضم الجيشان ، وسارا الى باريس فكسرا جيش الدوق دي مايان ، وعسكرا في سانت كلود ، وقامت الدنيا على الاثر في باريس ، وقرر سكانها مسالمـة

الملك خوفا من ان تمتد الحرب الى العاصمة فتنهب املاكهم ، وتحرق منازلهم •

★ ★ ★

وكان (جاك كليمانت) قد تبع الجيشين المتحالفين الى (سانت كلود) •• وقد زاد اصراره على قتل الملك بعد ان استرضته شقيقة الدوق دي كيز واغرته بقتله •

ولما لم يتمكن منه في الطريق قرر الدخول عليه في المنزل الذي يقيم فيه ، فاعترضه الحراس ، وسمع الملك اصواتهم فسأل عن الخبر فاخبروه ان رجلا يريد مقابلته ويلح في ذلك •

فاسرع احد الضباط الى (جاك) يسأله عما يريده من الملك فقال : انه قادم من باريس ويحمل الى الملك انباء خطيرة •

فامر الملك بادخال هذا الراهب عليه ، فطلب جاك حين شاهد الحرس من حول الملك ان يكون الاجتماع سريا لخطورة الحديث ، فوافق الملك وغادر القاعة جميع الحاضرين ، فقدم عندئذ جاك الى الملك كتابا مختوما ، فاخذ الملك يفض اختامه ، فبادره جاك باغماد خنجره في احشائه ، وصاح الملك صيحة هائلة ، فاسرع اليه رجاله وعلى رأسهم كريلون ، فلما رأوا الملك بهذه الحالة ، وجاك واقف يشتم ويضحك ، انقضوا عليه بسيوفهم وخناجرهم فمزقوه وقتلوه •

واسرع ملك النافار لما سمع بالخبر ، فلما افاق الملك من اغمائه، طلب ورقة وقلما ، وقال لهنري دي نافار :

« الوداع ايها الاخ الحبيب ، اني سأموت بعد قليل ، وعندي من الوقت ما يكفيني لكتابة وصيتي ، وسأعهد اليك فيها بعرش فرنسا ، لقد انقرضت اسرة فالوا ، فلتحيا اسرة بوربون » •

- ٦ -

فوستا في السجن

عرض ملك نافار على بارداليان ان يعينه مستشارا في بلاطه ، فاعتذر ، وعرض عليه ملك فرنسا هنري الثالث عصا المارشالية ، وذلك قبل موته فأجابه :

« انه راض بحسامه ، ولا يريد وظيفة اخرى غيره » ، وسافر الى باريس ليأخذ لنفسه بعض الراحة في فندق دفينير .

فلما وصل اليه وقف حائرا مبهوتا ، فقد شاهد كل شيء قد تبدل وتغير في هذا الفندق ، اذ تحول الى منزل .

ولا بد ان صاحبته هيكيت قد تركته ، وانتقلت الى مكان آخر .

فأطرق كئيبا ، وحاول العودة من حيث أتى ، لولا انه شاهد على الباب قطعة من النحاس ، فتقدم يقرأها ، فاذا عليها « منزل بارداليان » .

جمد في مكانه لحظات .

ايكون له منزل في باريس ، ثم لا يعرف بوجوده ؟

وطرق الباب ، ففتحت له خادمة ، فلما احتواه المنزل وجد ان داخله لم يتغير عما كان عليه قبلا ، ثم شاهد (هيكيت) تقبل عليه ، ففرح برؤيتها فرحا شديدا .. والقت نفسها بين ذراعيه ، تعانقه وهي تبكي من الفرح والسرور .

سألها بارداليان بعد ان عادت اليه نفسه :

ـ لماذا اقفلت هذا الفندق ؟

قالت :

ـ فعلت بعد ان جمعت من المال ما يكفيني ريعه ، وكرهت ان يبقى فندقي مفتوحا للزائرين ، وخصصته فقط لشخص واحد ، وعدني انــه سيأتي يوما ليستريح فيه ، فما هو للناس وانما هو لك .. وهــو الان (منزل بارداليان) .

واخذ بارداليان الباسل يبكي لاخلاص هذه المرأة له .

وقال لنفسه :

ـ لقد رفضت ان اكون وزيرا ، واعتذرت عن قبول عصا المارشالية ، وفضلت ان ابقى من عامة الناس .

وبعد شهر عقد زواجه مع هيكيت .. ولكن هذه المرأة المخلصة لــم تهنأ طويلا بزواجها ، فقد اصيبت بالحمى بعد اشهر وماتت فحزن بارداليان عليها حزنا شديدا .

وكانت قد اوصت بكل اموالها لزوجها ، فانشأ بارداليان مستشفى بهذا المال اطلق عليه اسم (هيكيت) ، ثم برح باريس بعد ان ضاقت الدنيا في وجهه بعد وفاة زوجته .. ولم يعد يطيق الاستقرار في مكان واحد .



بدأت محاكمة فوستا بعد ان تم القبض عليها من قبل جنود البــابا ، سيكست كنت .

وصدر الحكم عليها اخيرا بالاعدام ، وتعين يوم الاعدام فــي اليوم التالي ...

ولم تحفل فوستا بالحكم ، وقالت لخادمتها التي سمحوا لها بالبقــاء معها لخدمتها في تلك الغرفة الحقيرة :

ــ انهم لن يحصلوا على جسمي الا جثة هامدة •

قالت الخادمة :

ــ وكيف يكون ذلك يا سيدتي ؟

ــ لدي ست حبوب تذوب في الماء ، فاذا شربت واحدة منها نمت يوما واحدا ، واذا شربت اثنين نمت ثلاثة ايام ، واذا شربت ثلاثة نمت الى الابد •• فاعطني كأس ماء •

فلما امسكت فوستا قدح الماء بيدها ، احست بشيء يتحرك في احشائها ، وجاءها المخاض ، فتأخر الحكم عليها ريثما ولدت طفلها •

وعندئذ قرر القضاة تنفيذ الحكم في اليوم الثالث لولادتها ، ومضت فوستا ليلتها تنظر الى طفلها ، فلا تقبله ولا تحنو عليه ، حتى اذا اقبل الصباح نادت خادمتها ، فامرتها ان تأتيها بكأس ماء ، فذوبت فيه الحبوب الثلاث ، والتفتت الى الخادمة تقول •

ــ عليك ان تتولي تربيته ، وتذهبين به الى باريس ، حتى اذا بلغ مبلغ الرجال اخبرته بامره وامر ابيه •

فأقسمت الخادمة على ان تفعل كل ما تأمرها به •

فاخذت عندئذ فوستا الطفل بين يديها ، ونظرت اليه نظرة قاسية ، وقالت تخاطبه :

ــ يا ابن فوستا ، ويا ابن بارداليان •• ما عسى يكون مصيرك •؟ هل تجتمع يوما مع ابيك ، وهل تنتقم لامك ؟

ثم شربت الكأس جرعة واحدة واسلمت الروح •

وفي صباح اليوم التالي •• وهو الموعد المعين لاعدام فوستا ، كانت الساعة تشير الى إن ساعة تنفيذ الحكم قد اقتربت •

وفي هذا الصباح نفسه ، كان رجلان يجلسان في قصر فخم من قصور رومية ، وقد انزويا في احدى غرفه ، وهما في مقتبل العمر ، وقد وقع الاثنان في حب (فوستا) ، وراحا يفكران في خير سبيل لانقاذها •

كان احدهما (اسنكـــدر بريتي) ، ابن اخت البابـا ، كبير روميــة وزعيمها •

وكان من المنتظر ان يخلفه بعد موته •• وقد عينه البابا كردينالا باسم مونتالت •

واما الثاني (هرقل سفوندراتو) ، فسليل احدى الاسر الرومـالية الشهيرة •

تولى منصب القضاء ، رغم صغر سنه ، حتى اصبح من اعظم القضاة، شهرة وقسوة ، وكان يعتبر من رجال البابا المخلصين •

كان هرقل يقول لمونتالت :

اسمع •• لقد اخذت تـدق الاجراس مؤذنة بقرب تنفيـذ حكم الاعدام ، ولم يبق سبيل لانقاذها •

فقال له مونتالت :

ـ سأذهب وانطرح على قدمي قداسته ، واسأله العفو عنها •

فقال هرقل :

ـ انا الوحيد الذي يستطيع انقاذها •• فان اقسمت لي على ان تتنازل عن حبها فعلت •

فقال مونتالت :

ـ اني افضل انتزاع فؤادي من صدري على ترك حبها •• وسأدافع عنها ضد رومية كلها ، حتى ولو اصبحت وحيدا ••• واما الان فمت انت اولا ايها القاضي الاعظم ، لانك انت الذي اصدرت عليها الحكم بالاعدام•

وبأسرع من لمح البصر امتشق سيفه من غمده واهوى به على (هرقل) وخرج من الغرفة لا يلوي على شيء •

ولكن الدرع الفولاذية التي كان يلبسها (سفوندراتو) حمتــه من سيف خصمه ، فما عتم ان انتصب على قدميه ، بعد ان غادر خصمه الغرفة، وقد بدت على وجهه ابتسامة رهيبة •

واما موتتالت فقد مضى الى السجن القريب من القصر ، فلما شاهده الحارسان تراجعا من قدامه ، هيبة ووقارا لاتتسابه الى عظيم رومية •

فاطل من نافذة صغيرة على الغرفة ، فشاهد فوستا تمسك بمولودها وقد ازدادت جمالا على جمال ، وهي تتحدث الى خادمتها ميرتيس بأن تغادر رومية مع الطفل ، وان تهرب به بعيدا ، لان احدا لن يعارضها عند خروجها من السجن ، لان زعيم رومية انما يريد الانتقام منها لا من احد غيرها •

فوعدتها الخادمة ان تفعل ، وان تعيش للطفل وتقوم على تربيته •

فسرت فوستا من هذا الوعد ، وتناولت عن عنقها انبوبة شربت ما فيها من حبات السم دفعة واحدة ، ثم القت رأسها على الوسادة وفارقت الحياة •

★ ★ ★

صاح (موتتالت) عندئذ ، بصوت تملكه الرعب والخوف وقال :

ـ كان يجب ان افطن ، الى ان فوستا سوف تقدم على الانتحار ، لتنجو من قبضة الجلاد •

وصاح بالحارسين ليفتحا الباب •

فقالا :

ـ لا يفتح هذا الباب يا سيدي الا لمولانا الحاكم الاعظم •

ولم يكن الحاكم الاعظم غير خصمه (سفوندراتو) •• فسقط على الارض باكيا عندما ادرك صعوبة الحصول على امر من خصمه •

فجأة سمع صوتا يقول بهدوء :

ـ وانا ايضا يحق لي فتح هذا الباب فافتحاه •

ورفع (موتتالت) رأسه ليجد امامه مفتش اسبانيا الاعظم(اسبينوزا)، وكان رجلا في السادسة والخمسين من العمر ، طويل القامة ضخم الجثة ،

جاء الى رومية منذ شهر لمقابلة زعيم الكنيسة ، وقد اجتمع به اكثر من مرة ، ولاحظ المتصلون بالحبر الاعظم ان ما قاله (اسبينوزا) قد اثاره وهمّه ، وبدا الاضطراب على وجهه ، وهو الذي لم يكن يلقى بالا لخطر، مهما علا شأنه ، وعظم اثره •

وفتح الحارسان الباب ودخل المفتش الاعظم ، وخلفه مونتالت •

فأمر المفتش الخادمة ان تغادر الغرفة مع الطفل ، وان تقوم بدور الامومة التي كلفتها به فوستا •

فغادرت الخادمة مع الطفل الغرفة ، وصاح (مونتالت) يقول لما وقف امام جثة فوستا :

ـ الويل للذين قتلوك يا فوستا •

ثم تذكر المفتش الاعظم ، فبكى وقال :

ـ لماذا جئت بي الى هذا المكان يا مولاي ؟• اني اسمع صوتا داخليا يقول لي ، انك في سبيلك اصنع معجزة من المعجزات ، فان لم تفعل فاني لاحق بها •

وامسك بسيفه يريد ان يغمده في صدره ، فمنعه المفتش الاعظم وقال له :

ـ ان السم الذي تناولته فوستا ، قد اشترته من (مانيه) بائع الاعشاب ، ولهذا السم ضد واحد اتيت به معي •• فخذه وافعل به ما تشاء •

فصاح مونتالت :

ـ انقذها يا سيدي •• وخذ حياتي •

ـ ان حياتك ثمينة عندنا •• ولن اطلب منك مثل هذا الثمن لقاء انقاذها •

فأدرك مونتالت ان المفتش سيطلب منه خدمة ، مقابل انقاذها ، فقال :

ـ مرني يا سيدي انفذ ما تريده •

فقال المفتش :

ــ تعال ساعدني •

ــ تعال ساعدني •

امسك (مونتالت) برأس فوستا ، وسكب المفتش في فمهـا السم المضاد •

وبعد قليل اخذ وجه (فوستا) يتشرب بالحمرة ، كأن الروح قد بدأت تدب فيه ، وبعد لحظات اخذت تتنفس •

فصاح مونتالت يقول :

ــ حمدا لله ، فهي لا تزال حية •

وقال المفتش :

ــ بعد ساعتين تعود الاميرة فوستا الى وعيها ، وتنجو من الموت •

التفت عندئذ مونتالت الى المفتش وقال :

ــ ما الذي يأمرني به سيدي •• لاقوم بتنفيذه ؟

ــ لقد جئت الى رومية من اسبانيا لاحصل على مستند موقع بامضاء هنري الثالث ملك فرنسا ، وعليه خاتمه ، وهذا المستند موجود في غرفـة زعيم رومية التي لا يدخلها في غيابه سواك يا مونتالت ، وانا اريد الحصول على هذا المستند •

فقال مونتالت :

ــ امرك يا سيدي وسأذهب لاحضاره •

فلما غادر مونتالت الغرفة فتحت فوستا عينيها ، ونظرت الى المفتش الاعظم •

فقال لها هذا :

ــ ليطمئن بالك على طفلك ، فقد غادرت به خادمتك ميرتيس رومية ، ولتعلمي ان زعيم رومية قد سمح للطفل بالحياة ، لعلمه بانك اخفيت في مكان ما ، ثروة عظيمـة لا تقل عـن عشرة ملايين تركتها لولـدك ، وان

الخادمة تعرف مكان هذا المال ، وستعطيه للطفل عندما يبلغ سن الشباب .. هل سمعت ما قلته لك ؟

فهزت رأسها بالموافقة ، فحنى رأسه باحترام وتوجه نحو الباب فلما بلغه التفت يقول :

ــ ولتعلمي ايضا ان بارداليان قد تمكن من النجاة من الحريق في القصر الضاحك وهو لا يزال حيا يرزق .

★ ★ ★

كان زعيم رومية في غرفته المتواضعة ، يفكر بمشروعاته العظيمة ، وبهذا المستند الذي حصل عليه من هنري الثالث ملك فرنسا ، وعرف فيليب ملك اسبانيا بأمره فارسل يطلبه بواسطة المفتش الاعظم .. او يحدث لعظيم رومية ما ليس بالحسبان .

ولم يكن يهم عظيم رومية ان يموت .. وانما كانت له اطماع يريد تحقيقها قبل موته .. منها طرد فيليب ملك اسبانيا من ايطاليا ، وان يجعل من ايطاليا دولة موحدة مستقلة .. بعد ان كانت في الوقت الحاضر ، تتجاذبها اطماع اسبانيا وفرنسا والنمسا .

قال يناجي نفسه :

ــ لقد اقسمت لمندوب ملك اسبانيا اني احرقت هذا المستند وعليّ ان افعل .

ورفع المستند من مكانه ، وقرّبه من النار ، ثم ما لبث ان اعاد الورقة اليه وهو يقول :

ــ يجب ان احتفظ بهذا المستند .. ولكن كيف العمل ؟

واحس في هذه اللحظة بان يدا قوية امسكت بالورقة ، فاستدار خائفا ، فاذا به يشاهد موتنالت ابن اخيه .

صاح به :

ـ كيف تجرأ ؟

ومد يده الى مطرقة كانت امامه ليدعو خدمه ، ولكن موتتالت منعه ، وقال لـه :

ـ اذا اردت المحافظة على حياتك فلا تأت بحركة •

فانتصب الشيخ واقفا وقال له :

ـ هل تجسر ؟

ـ نعم ، اذا لم احصل على ما اريده •

ـ ما الذي تريده ؟

ـ اريد العفو عن فوستا •

وابتسم زعيم رومية ، فقد علم بانتحار فوستا وتناولها السم ، فقال :

ـ ليكن لك ما تريده •

وتناول ورقة امامه ، كتب عليها امرا بالعفو عن فوستا •• اعطاها لابن اخيه وهو يقول :

ـ خذ هذا امر بالعفو عنها واعطني الورقة التي انتزعتها مني •

ـ قبل ان اعيد الورقة اريدك ان تعلم ، ان فوستا لم تمت ، وقـد اسرعت انت بالعفو عنها ، لعلمك بموتها •

« لقد سقيتها دواء مضادا للسم الذي تناولته ، فنجت من الموت » •

فكر زعيم رومية مليا ثم قال :

ـ ليست تهمني حياتها •• بعد ان هانت سلطتها بولادة طفلها •• واما انت فهل لا تزال تعشقها ايها الاحمق •• ان احدا في العالم لم يستطـع تطويع فؤادها غير بارداليان ، وما انت مثله •• فما الذي ترجوه منها ؟

فاصفر وجه موتتالت ، ولاذ بالصمت لحظات ، ليقول بعد ذلك :

ـ لست اطلب منها شيئا ، وما فعلـت الا لانقاذهـا من المـوت ••• وسوف اسلم هذه الورقـة الى فوستا ، لتأخذها بيدها الى الملك اسبانيا ، لانها تخصه وهي ملكه ، ولزيادة الاحتياط والحذر ساسافرمعها•

وفكر زعيم رومية في موقفه .

لقد وجد اخيرا الحل لهذه الوثيقة الخطيرة .. وماذا يهمه احملت هذه الوثيقة فوستا ، ام سواها ، شرط ان لا تصل الى صاحبها .

ولما استقر فكره على ما يجب عليه عمله ، قال لابن اخيه :

ــ اذهبا الى حيث اردتما .. فقد عفوت عنكما .

وبعد دقائق كان موتتالت عند المفتش الاعظم .

اخبره بحصولــه على المستند ، وبانه سوف يــذهب مع فوستا الى اسبانيا ليقدمه الى جلالة الملك فيليب ، وقد فعل ما فعل حتى يطمئن الى سلامتها .

وقطب المفتش حاجبيه في اول الامر ثم ما عتــم ان وافق على هــذا الرأي ، وقال :

ــ المهم وصول هذا المستند الى الملك في اقرب وقت ممكن .

فقــال موتتالت :

ــ سوف تسافر الاميرة فوستا الى اسبانيا ، متى تمالكت صحتها .. لتستطيع تحمل مشاق السفر الطويل .

- ٧ -

عرش فرنسا

لما فتحت فوستا عينيها ، وشاهدت (مونتالت) امامها أدركت انهذا الشاب العاشق قد استطاع اقناع عمه بالعفو عنها اخيرا .

ثم لما سمعت الحديث الذي دار بينه وبين المفتش الاعظم ، أدركت الحقيقة .

وفكرت في انها قد تفيد من حب هذا الشاب ، ومن اختلافه مع عمه، لاغراضها الشخصية ، ثم ما لبث ان تذكرت ، انها تفضل الموت ، بدلا من العودة الى الصراع الرهيب الذي بدأته ، ولم توفق فيه .

وسمعت فيما سمعته ، قصة المستند السري ، ثم ما قاله لها المفتش الاعظم عند وداعه ، من ان بارداليان ، لا يزال حيا يرزق .

اخذت تفكر في موقفها الجديد .

واقبل (مونتالت) في هذه اللحظة عليها ، فتمالكت عواطفها واعصابها، وقالت :

ـ هل عندك ما تقوله ... تكلم ...

واستشعر الشاب بقوتها وسيطرتها ، فحنى رأسه .

وأحست فوستا انها قد تستطيع الافادة من حبه ، اذا كان لا بد لها من الحياة ، ولا بد لها من القيام بمغامرات جديدة ، في السياسة الدولية.

ومضى (مونتالت) ، يقص عليها ما وقع له ، وكيف تمكن من الحصول على عفو زعيم رومية عليها .

فقالت :

ـ اذاً فان باستطاعته ان يسحب عفوه هذا ساعة يشاء .

فقال :

ـ بل انه لا يستطيع ذلك ، لاني قد تمكنت من الحصول منه على وثيقة تمنع عنك كل شر وأذى .. تفضلي يا سيدتي وطالعي هذا المستند.

تناولت فوستا الوثيقة واخذت تقرأ ما يلي :

« نحن هنري الثالث بنعمة الله ملك فرنسا ، نعلن اننا بالهام من الله، وعملا بنصيحة الاب الاقدس ، قررنا المحافظة على الديانة الكاثوليكية في مملكتنا .

« وبما ان هنري امير النافار عاجز عن القيام بشؤون فرنسا ، ولا يستحق الجلوس على عرشها ، لانه متهم بالمروق عن الكنيسة ، فقد قررنا ان نأمر رعايانا ، باننا قد اخترنا جلالة الملك فيليب الثاني ملك اسبانيا خلفا لنا على عرش فرنسا ، لانه زوج اليصابات شقيقتنا المحبوبة، ونأمر كل رعايانا الخاضعين لاحكام الكنيسة باعتباره دون سواه ، خلفا شرعيا لنا على هذا العرش » .

وقال مونتالت بعد ان قرأت فوستا هذه الوصية :

ـ وكذلك ترين يا سيدتي ، ان حظ ملك اسبانيا في عرش فرنسا اصبح عظيما ، وان هنري دي نافار قد خسر كثيرا ، ولا يبق معه اذا ما

نشر هذا المستند ، الا جماعة الهيكونوت انصـاره .. لان انصار ملك فرنسا سوف يؤيدون ملك اسبانيا ، فالذي يعطيه هذا المستند يكون كمن اعطاه عرش فرنسا ، واذا تمكنت من الحصول على مساعدة فيليب ملك اسبانيا ، استطعت تأسيس مملكة جديدة ترضيك وتسعدك .

« وقد رأيت ان اسلمـك هذا المستنـد ، لتكوني رسولي الى ملك اسبانيا » .

ولاذت فوستا بالصمت تفكر .

لقد هيأ لها هذا المستند فرصة جديدة لاعادة مجدها ، والوصول الى اغراضها .

ولكنها ما لبثت ان سألت (مونتالت) :

ــ وما الذي تريده مني مقابل هذه الخدمة ؟

قال :

ــ سيدتي .

قالت :

ــ انا اتولى الجواب عنك .. لقد فعلت ما فعلت ، لانك تحبني .

خرّ (مونتالت) على الارض امامها ، ومد لها يده متوسلا مسترحماء

وانتصبت واقفة ، مخافة ان ينفجر غرامه .

وقالت :

ــ اني اعلم انك تحبني منذ مدة بعيـدة .. ولكنـي لا استطيع مبادلتك حبا بحب ، لاني احببت سواك ، وفؤادي لا يقبل غرامين .

وجن جنونه لما سمع هذا الكلام ، وشهر سيفه ، وهجم عليها .

فقالت له بهدوء :

ـ نعم ... لقد احببت بارداليـان ... واذا مات فلن تكون انت قاتله .

ـ ومن الذي يقتله اذن ؟

ـ انـا .

ـ وما الذي يدعوك لقتله ؟

ـ حبي له .

★ ★ ★

ظل عظيم روميـة يفكر في الموقف بعد خروج مونتالت .. واحسن السبل الى استرجاع الوثيقة ، والقضاء على فوستا ثانية .

وفي هذه اللحظة اقبل عليه الحاكم الاعظم (سفوندراتو) .. وحدثه بما كان من محاولة مونتالت قتله ، وانه لم يكن ليبالي بهذا الاعتـداء ، لولا انهما يحبان امرأة واحدة .

« لا يريد احدهما ان يتخلـى عنها للآخر .. وان هذه المـرأة هي فوستا » .

فقال له عظيم رومية :

ـ لك ان تفعـل ما تشاء ، وقد كنت في الماضي طلبت مني دوقيـة (بوتته ماجيوري ومورسياتو) فهي لك الآن ، وهذا قرار بتعيينك عليها .

فقال له الحاكم الاعظم :

ـ ما هذا الكلام .. لقد اخبرتك ان الرجـل الذي اكرهه واريـد قتله هو (مونتالت) ابن اخيك ، الذي اخترته ليكون خلفا لك .. فلماذا لا تحدثني عنه ؟

ـ ان مونتالت هذا قد اصبح عدوي ، وقد اخذ مني السلاح الذي يذهب بسلطتي واعطاه لفوستا الذي عفوت عنها ، وهي ستذهب به الى ذلك الاسباني اللعين ، ولهذا انصحك بأن تضربه في غرامه واعماله ، بدلا من قتله .

واهتز الحاكم الاعظم لما سمع هذا الكلام وقال :

ـ فوستا حرة .. وقد عفوت عنها .. وهي ستذهب الى اسبانيا مع مونتالت ، أن هذا لن يتم ابدا ، ما دام بي رمق .

« ان الوظيفة التي منحتني اياها لا تنفعني في الوقت الحاضر .. كل ما اطلبه منك ، ان تصدر امرا بتعييني مديرا للبوليس ، وبعد ساعة من الزمن أعيد اليك المستند » .

« ان الجلاد لا يزال بالانتظار .. ولا بد ان اقضي على هذه المرأة .

« واما (مونتالت) فسأقبض عليه واحاكمه كخائن ، واحكم عليه بالاعدام ، فلا تتأخر عن اعطائي هذه الوظيفة » .

ـ اذا فعلت فلن تمر ايام ثلاثة حتى افارق الحياة .

ذعر الحاكم الاعظم ، ومضى زعيم رومية يقول :

ـ ان هناك ديوان التفتيش الذي يقبض على زمام الموقف .. ولو اردت القضاء على اعدائي لفعلت ، ولكن هذا الديوان يحميهم في الوقت الحاضر .

« وانا بحاجة الى سنتين لتوطيد سلطاني ومركزي .. ولهذا سأسمح لاعدائي بمغادرة الارض التي تحت سلطاني » .

ـ واذا كان الامر كذلك ، فسأتولى امرهم بنفسي .

فقال زعيم رومية :

ـ هل انت واثق من نفسك ؟

ـ لست ارهب عشرين مثل موتتالت •
ـ والمفتش الاعظم ؟
ـ اعطني امرا ••• فيقبض عليه في الحال •
ـ وفوستا ؟ ان فوستا تسحقك باشارة منها•• انت لست من رجالها•

« ليس هناك غير رجـل واحد وقف في وجهها ، وافسد عليهـا كل اعمالها ، وهو بارداليان •• فاذا رضي بمساعدتنا في هذا العمل نجحنا•• »

فقال الحاكم الاعظم :
ـ سوف اذهب اليه واقنعه بمساعدتنا •
ـ انه رجل ليس كغيره من الرجال ، وما عليك الا ان تجرب حظك معه •• وهو الرجل الوحيد الذي اكرهني على الاعجاب به •
ـ اين اجده ؟
ـ اذهب لمقابلة هنري دي نافار واطلعـه على قصة المستنـد الذي تحمله فوستا ، والذي اكرهت على تسليمه الى (موتتالت) •
واذا التقيت ببارداليان ، قل له :

ـ ان فوستا لا تزال على قيد الحياة ، وانها تحمل الى فيليب الثاني ملك اسبانيا ، سندا يكفل له الحصول على عرش فرنسا •
ـ ومتى يجب ان اسافر ؟
ـ حالا •

★ ★ ★

غادر (سفوندراتو) رومية ، ينهب الارض على جـواده ، متوجهـا صوب فرنسا ، وكلما وصل الى فندق او محطة ابدل جواده بغيره ، حتى

اصبح قريبا من باريس ، فالتقى بفارس فسأله عن اخبار هنري ملك النافار.
فقال له الفارس المجهول :

ـ لقد علمت ان الملك يقيم في قرية مونمارتر ، وقد نزل في دير راهبات البنديكتيين الذي ترأسه الاخت كلودين دي بوفيليه ، وهي تقضي ايامها ولياليها على ما يقال باقناع الملك بالرجوع الى الكثلكة .

« واذا اردت يا سيدي ان اقودك الى حيث يوجد ملك فرنسا فعلت، لاني على موعد معه في مساء هذا اليوم » .

فدهش الحاكم الاعظم لما سمعه ، ونظر الى الفارس الذي قدّر انه في الاربعين من عمره ، وهو جميل الصورة ، قوي العضلات حائرا مذهولا.

ومضى الفارس المجهول يقول :

ـ ولسوف تخجل حين تشاهد هذا الملك في ثيابه المتواضعة ، اذا قيست بملابسك المحلاة بالذهب والريش الفاخر ، والوشي الثمين .

واستبدو بالدوق الحاكم الاعظم الغضب ، وهدد الغريب بالعقاب ، ان مضى في تهكمه ، فرفع الفارس قبعته معتذرا .. ووعده ان يلوذ بالصمت .. ولكن بلهجة ظاهرة التهكم والسخرية .

واستبد الغضب بالحاكم الاعظم ، وقرر معاقبة هذا الفارس اذا التقاه مرة ثانية ، وذلك بعد ان يجتمع الى الملك وبارداليان اللعين .

واخيرا وصل الفارسان الى باريس ، والى اعالي (شاليو) ..

وكان الصمت يخيم على العاصمة من بعيد ، ثم عاودا السير الى جهة مونمارتر ، لان اسوار العاصمة كانت محاطة بجنود هنري الرابع ، او ملك النافار سابقا ، الذين اخذوا يحاصرونها .

ولما وصلا الى الاسوار ، صادفا عددا كبيرا من الكهنة والرهبان وقد ارتدوا السلاح تحت البستهم ، يقومون بحراسة الاسوار واعمال الدفاع،

وخلفهم جمع من سكان باريس الجياع يروحون ويغدون خلفهم .
وفجأة سمعا صياحا وجماعة يقولون :
ــ الملك ... الملك ...
وهجم جمع كبير من الفقــراء على الاسوار ، وهم يدفعون الكهنــة امامهم .

واحاطوا بعربة الملك ، وهم ينادونه ويطلبون منه خبزا ...
فقال لهم هنري الرابع ببساطة :
ــ لقد اتيت اليكم ايها الاصدقاء ، وجئتكم بما تريدون ولكن ما الذي يدعوكم للامتناع عن تسليمي عاصمتكم ؟

وشاهد الفارسان منظرا غريبا في هذه اللحظة .. فقد ترجل هنري الرابع عن جواده ، وفعل مثله الفرسان الذين كانوا يحيطون به لحراسته.
واقبل من خلفهم عدد عظيم من البغال ، تحمل الخبز على ظهورها ، فأخذ الملك يوزع الخبز على الفقراء .

وبعد لحظات ، لم يبق فوق ظهر البغال ، قطعة واحدة من الخبز .
ولما انتهى الملك من توزيع الخبز صاح يقول :
ــ سوف احمل اليكم في الغد خبزا جديدا .
فصاح عندئذ الفارس الغريب ، الذي رافق الحاكم الاعظم قائلا :
ــ احسنت يا صاحب الجلالة .

والتفت هنري الرابع ينظر الى الرجل الذي استحسن عملــه ، فلما شاهده ظهرت الابتسامة على وجهه .
وهتف يقول :
ــ حمدا لله .. فقد جئت اخيرا يا بارادليان .
وعض الحاكم الاعظم على شفتيه .

لم يكن يعلم ان رفيقه في السفر لم يكن غير بارداليان ، الذي جـاء للاجتماع به من ايطاليا •

وأردف الملك يقول :

ـ ان اسراعك في تلبية دعوتـي ، يؤكد لي انك سوف تكون من حزبنا •

فقال بارداليان :

ـ ان جلالة الملك أدرى الناس باخلاصي •

واصدر الملك امره الى رجاله بركوب جيادهم، للعودة الى مونمارتر•

والتفت الى بارداليان يقول :

ـ واما انت فتعال معي •• وسر الى جانبي •

★ ★ ★

التفت عندئذ بارداليان الى رفيقه وقال له :

ـ ارجو ان تعرفنـي على نفسك يا سيـدي ، حتى اذا وصلنا الى مونمارتر تشرفت بتقديمك الى جلالة الملك كما وعدتك •

ـ اني ادعى (هرفل سفوندراتو، دوق بوتته ماجيوري ومارسياتو) ورسول البابا الى الملك والفارس بارداليان •

اضطرب بارداليان لما سمع هذا الجواب وقال :

ـ لم اكن اتوقع مثل هذا الشرف •

ولما اصبح بارداليان بجوار الملك قال له هذا :

ـ ان مما يسوئني اصرار الباريسيين على عدم فتح مدينتهم لي •

فقال بارداليان :

ـ سوف تسقط هذه الاسوار حين تريد جلالتكم •
ـ وكيف يكون ذلك ايها الفارس العزيز ؟
ـ لقد قلت لجلالتكم ان باريس تساوي قداسا •

فقال وهو يبتسم :
ـ سندرس هذا الامر في المستقبل •
واخبر بارداليان الملك في اثناء الطريق بأن رفيقه الدوق هو رسول البابا اليه •

فوافق الملك على استقبال الرسول عند وصوله الى معسكره في مونمارتر •

ولما استقر به المقام ، اخبره الرسول بمهمته ، وسلمه نسخة من المستند الذي حصلت عليه فوستا •• والذي تريد تسليمه الى ملك اسبانيا •

كما قص عليه كيف تمكن (موتتالت) ، ابن اخي زعيم رومية من الوصول الى هذا المستند •

وبعد ان غادر (الدوق) الحاكم الاعظم حجرة الملك ، اجتمع الى بارداليان ، فأخبره ان زعيم رومية ، قد ارسله اليه ، ليخبره ان (فوستا) لا تزال على قيد الحياة ، وانها الآن في طريقها الى اسبانيا ، تحمل الى الملك فيليب الاسباني وثيقة تكفل له الحصول على عرش فرنسا •

فقال بارداليان بذهول :
ـ لا بد انك واهم يا سيدي ، فما الذي في هذه الوثيقة لتعطي ملك اسبانيا حق الجلوس على عرش فرنسا ؟

فقال الحاكم الاعظم :
ـ انها الوصية التي كتبها هنري الثالث ملك فرنسا قبل مقتله

بزمـــن ، يعترف فيها ان فيليب الثاني ملك اسبانيا ، هو خليفته الشرعي الوحيد على عرش فرنسا •

لاذ بارداليان بالصمت لحظات ثم قال للرسول :

ــ هل هذا ما تريد ان تحدثني به ؟

ــ نعم يا سيدي •

ــ اذن الى الملتقــى ، لاني سأذهب لمقابلــة الملــك الذي يريــد الاجتماع بي •

ولما دخل بارداليان الى غرفة الملك وجد عنده جماعــة من رجالــه ، فأطلعهم جلالته على الوصية التي كتبها هنري الثالث قبل مقتله ، والتي يجعل فيها ملك اسبانيا خليفة له •

وكيف ان فوستا في طريقها الآن الى اسبانيا ، تحمل هذه الوصيــة الى الملك الاسباني •

وقد اهتاج الجميع لسماعهم هذا الخبر ، وصاحوا ينــادون بالقبض على (فوستا) ، واسترجاع الكتاب منها قبل ان يصل الى صاحبه •

وايّد بارداليان الفكرة •

وسأل الملك :

ــ من يكون الرجل الذي يستطيع القيام بهذه المهمة ؟

ولحظ (بارداليان) ان الانظار قد انصبت عليه •• فقال ببساطة :

ــ هل اصلح لأكون ذلك الرجل ؟

فطار الملك من الفرح وهتف يقول :

ــ أتقبل هذه المهمة ايها الصديق العزيز ؟

« حقا انك اذا فعلت ذلك ، وجلست على عرش فرنسا ، فان الفضل سيعود اليك » •

فقال بارداليان :

ـ انك لن تكون يا مولاي مديونا لي بشيء •• فأنا اعرف فوستا ، وسأسعى جهدي لاحصل على هذه الوثيقــة منها ، قبل وصولهــا الى صاحبها •

وقال الملك بعد تفكير قليل :

ـ ويجب ان تظل مهمتك سرية بيننا لا يعرفها احد ، ولهذا سأكلفك بمهمة ثانية ، وهي ان تذهب كرسول من قبلي الى ملك اسبانيا ، لتسأله التوقف عن مد يد المساعدة الى رجاله ، الذي يعملون خلف الاسوار مع الثوار في باريس •

ثم التفت الى كاتبه ، وطلب منــه ان يعد الكتــاب اللازم ، بتعيين الفارس بارداليان ، كسفير فوق العادة من قبلنا الى جلالة فيليب الثاني ملك اسبانيا •

وان يتمتع بكل الصلاحيات التي تخولها له هذه الوظيفة منذ الآن •

والتفت الملك الى بارداليان يسأله :

ـ كم عدد الرجال الذين تطلبهم لمرافقتك ؟

ـ ما حاجتي بالرجال يا صاحب الجلالة ؟

ـ اتريد ان تذهب بمفردك ، وان تقابل ملك اسبانيا ومحاكم التفتيش فيها وحدك ؟

ـ لقد تعودت يا مولاي ان اقوم بأعمالي بمفردي ، وقد نجحت في جميعها حتى الآن •

فقال الملك :

ـ يا الهي ما اشد عنادك !

وقال في نفسه :

ـ على المرء ان يتوقع المستحيل مع رجل كهذا .
وسأل الملك بارداليان بصوت عال :
ـ متى تريد السفر ايها الفارس العزيز ؟
ـ سأسافر حالا يا مولاي .
فقال الملك :
ـ انت بطل يا صديقي .. فاعطني يدك لاصافحك .
فصافح بارداليان الملك باحترام زائد ، وغادر الغرفة يتبعه (سانزي) كاتب الملك .
فلما تأهب الفارس لركوب جواده ، اقترب منه (سانزي) وسلمه اوراق اعتماده .
وقال ضاحكا :
ـ لقد امرني الملك يا سيدي ، ان اعطيك هذا المبلغ الزهيد لنفقات سفرك .
فتناول منه بارداليان كيس النقود واردفه خلفه على ظهر جواده وقال :
ـ يبدو ان مولانا قد اصاب كنزا ، او ان الاشاعات عن بخله ، لا اثر لها من الصحة ، فان ما اعطانيه كثير يمثل ثروة .
قال هذا ولكز جواده .
فسار يسابق الريح .. وترك (سانزي) دهشا حائرا معجبا ببطولته وجرأته ... وطول لسانه .

انتهى هذا الكتاب

الفهرس